قمبيز

تأليف

احمد شوقي بك

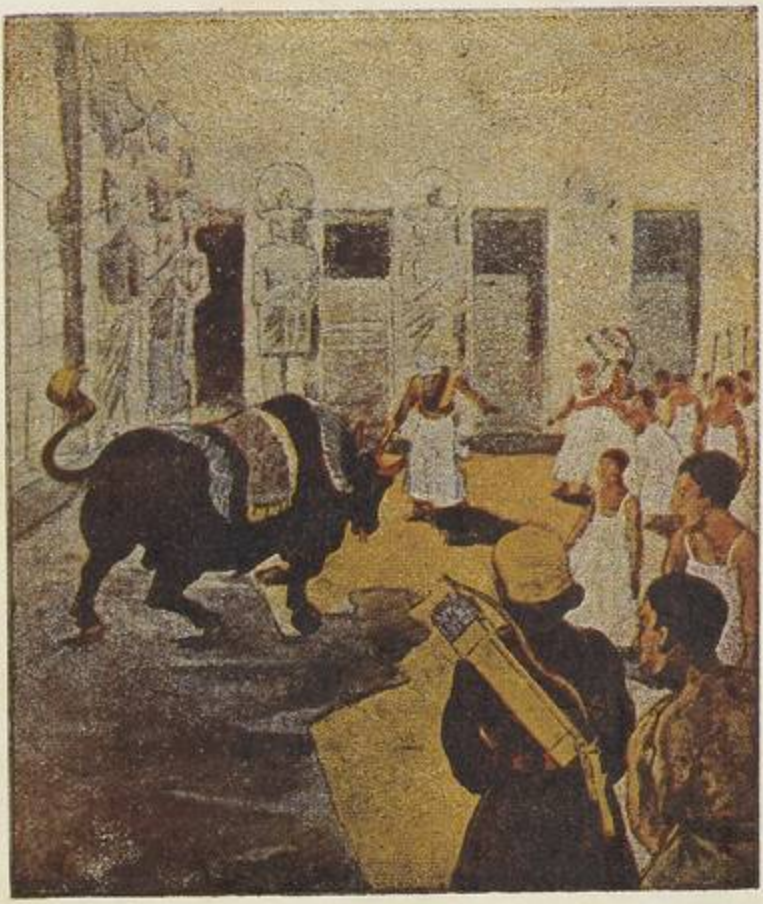

2274
87655
.374

2274.87655.374
Shawqi
Qambiz

DATE	ISSUED TO
MR15'56	Bindery

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE
DEC 20			

Princeton University Library
32101 074332709

Qambiz

قمبيز

تأليف

المرحوم أحمد شوقى بك

Ahmad Shawqi

مطبعة دار الكتب المصرية
١٩٤٦

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

إهـــداء

باسم حضرة صاحب السمو الملكى الأمير "فاروق"(*)
ولىّ عهد الدولة المصرية أحلى هذه الرواية وأسأل الله
أن يوفق الأمير الكريم كما وفق آباءه العالين إلى
النهضة بالفنّ فى مصر حتى يعود كما بدأ بتنمية
تاجها الفاخر وجوهرة عرشها المجيد ؛

أحمد شوقى

(*) أهديت إلى جلالته قبل ارتقاء جلالته عرش المملكة المصرية .

2-2/56047
2274
.8765
.374

تمهيـــد

(١) زمن الرواية : القـرن السادس قبل الميلاد .

(٢) مكان الرواية : مصـر { منفيس : عاصمـة مصـر .
صا الحجر : مقـر البـلاط .
فارس ســوس : عاصمة الفـرس .

(٣) أشخاص الرواية :

أمازيس : فرعون مصـر .

بسامتيك : ابن أمازيس وولى العهد .

نفـريت : ابنـة أمازيس .

نتيتاس : ابنـة فرعون أبريـاس المقتول .

قمبـيز : مـلك الفـرس .

تاســو : حارس فرعون .

تـــتى : وصيفة الملكة نتيناس .

فانيـس : كان قائدا فى الجيش المصرى ثم التحق بالجيش الفارسى .

رجال الوفـد الفارسى .

رجال البلاط الفرعونى .

قـــواد — جنـــد : من الفـرس .

ساحر — راقصات — أقزام — نوب — حجاب — خدم } مصريون .

الفصل الأوّل

المنظر الأوّل

« بالقرب من غرفة فرعون أمازيس الخاصة — »
« تاسو حارس فرعون — الأميرة نفريت ابنة الملك »

تاسو : نفريت ؟

نفريت : تاسو ها هنا ؟

تاسو : وهل أُرى إلا هنا ؟
أحومُ حول صنمى وحول هذى القَدَمِ

نفريت [وتنظر إلى رجلها] :
حول رجلى أنا ؟

تاسو : أجل حول هذا الـ ـشُّ بهذ والزُّبْدِ والتمرِ الصافى
ما بكِ يا نفريتُ ما هذا الأسى ؟
ما بالُ عينيكِ تريدانِ البكا ؟

نفريت : تسألنى ما بى ألم تعلم بما
جرى ويجرى من بخائع القضا

تاسو : ماذا جرى ؟ ماذا لقيتِ ملكتى
من القضاء ؟ مُهْجتى لكِ الفِدا

نفريت : كيف لقد كان حسابى أننا بخطْبَة الفُرْس تحطّمنا معا

تاسو : إذن فهذا الغمّ من جرّائها
وأنتِ تخشَيْنَ الرحيلَ والنوى

نفريت : وأنتَ يا تاسو ألم تحزنْ ؟

تاسو : أنا ! أحزنُ يا سلطانةَ الفُرْس أنا؟
لقد وددْتُ لو مَلَكتِ كلَّ ما
دبَّ على الأرض وطار فى السما

نفريت : وفُرْقتى تاسو ألم تحزنْ لها ؟

تاسو : ولِمْ وفى الفرس يكون الملتقى

نفريت : فى فارس ! فى قصر زوجى نلتقى !
يا عجبا ماذا تقولُ يا فتى؟

تاسو : لِمْ لا أليس فى القصور سَعَة ؟ نحن هناكَ مثلُ مانحن هنا

نفريت : هذا الغَباءُ منكَ تاسو عجبٌ ليس المكانان على حدٍ سَوا

هنا أبى إذا بكَيْتُ رقّ لى وإن شفعتُ لكَ عنده عفا

تاسو : وثَمَّ ؟

نفريت : وحشٌ فى إهاب بَشَرٍ يَقْتُلُ من يَلْقى

تاسو : أمون نجنا !

وماذا اعترمت ؟

نفريت : اعترمتُ البقاء بمصرَ وفى ظلّ هذى الحُجَرْ

و بالقُرْب منكَ ومن والدىَّ ومن إخوتى وذوىَّ الأُخر

و بين وصيفاتىَ المُشْفِقاتِ ومن لاذ بى من بنات الأُسر

تاسو : ولكن تُرى كيف تجرى الأمورُ اذا علمتْ فارسٌ بالخبر

وقيل لقمبيزَ فرعونُ خالـ ـفَ وابنةُ فرعونَ لم تأتمر

نفريت : ليجر بما شاء تاسو القضاء ليجر بما شاء تاسو القَدَر

لتُخْسَفَ بقوم عليها البلادُ ليستأخرِ النيلُ أو ينفجرْ!

فأما أنا فسأبقى هنا وإن غَضِبَتْ فارسٌ والنمرْ

فما الفرسُ لى بالصحاب الكرام

ولا لىَ فى مُلْكهم من وَتَرْ

[تدخل الأميرة نيتيتاس]

نفريت : من المُفاجى (نتيتا) ؟

نتيتاس : نفريتُ تاسو سلامُ
نفريتُ أصغى لقولى فلى إليك كلامُ

نفريت : تكلمى واقتصدى

نتيتاس : ولم أزل مقتصده

نفريت : أتيتنى شامتةً

نتيتاس : لا بل أتيتُ مُسْعدَه
آمون قد مدّ إليـ ـك والى الوادى يده
وقد كفى مصرَ البلا ـء والخطوبَ المُرْعدَه
وكفَّ عن ربوعنا نارَ المجوس الموقدَه

نفريت : وكيف نتيتاسُ ماذا ما الخَبرْ ؟
كيف جرى غيرَ مجاريه القدَرْ؟

تاسو : مالأمر يا سيدتى !

نتيتاس : وأىُّ شأنٍ فيه لَكْ
إن الذى عندىَ لا يُقال إلا للملكْ

نفريت : عجّلي إذن . قابلي أبي . أسرعي الخطى . اذهبي اذهبي
واسأليه ما . شئتِ واطلبي

نتيتاس : ما ذاك ما ذا تقولين فكّري يا نَفَرْتُ
ما جئتُ أطلبُ مالًا ولا لهذا حضرتُ
ولا بشأنك يا بنتَ آمازيس افتكرتُ

نفريت : ففيمَ إذن جئتِ يانتيتاسُ وفي أي شأن نقلتِ القَدَمْ؟

نتيتاس : أتيتُ لمصلحة الآخرين وجئتُ لشأنٍ جليل العِظَمْ
أتيتُ لأفدي بنفسي البلادَ وأدفعَ عن مصرَ شرَّ العَجَمْ
فإنك ان ترفضي يزحفوا كزحفِ الذئاب ونحن الغَنَمْ
فأين أبوك ؟

نفريت : تُلاقينَهُ هنالك في حجرات الصَّنَمْ

نتيتاس : سأمضي إليه

نفريت [بتهكم] : اذهبي

نتيتاس : آفدي البلادَ نعم أنا أفدي بلادي نعم

[تخرج]

نفريت : يا ويحها قد ذهبتْ دعنىَ تاسو واذهب

[يخرج تاسو] :

« يدخل فرعون الى غرفته الخاصة وهى حجرة صغيرة أرضيتها من الخشب »
« الملون وفيها بضعة كراسى خفيفة الوزن لطيفة الصنع وفى زواياها الأربع »
« تماثيل للآلهة المصرية ، فرعون أمازيس وابنته نفريت مقبلة عليه »

نفريت : سلامٌ يا ضُحى الشمس ويا غُرّةَ آبيس
ويا حامىَ سايِيس ويا حارسَ منفيس

فرعون : سلامٌ شبهَ هاتور سلامٌ شبهَ إزيس

نفريت : أبى بل نادنى يا بذ تَ فرعونَ أمازيس

فرعون : تعالَىْ أقبلى يا بذ تَ فرعونَ أمازيس
وفى أىّ جايل أو صغير يا تُرَى جئت
تعالَىْ يا بُنَتى قولى سَلى فرعون ما شئت

نفريت : أبى كُنْ لى فقد أظلـ مت الدنيا بعينَيَّا

فرعون : سأجْلُو ظُلمةَ الدنيا وأمحوها بكفَيَّا

[تغرورق عيناها بالدموع]

بِنْتَاه

نفريت : ربَّاهُ أبِى

فرعون : ما للأميرة باكيه ؟

هَلَّا ادَّخرتِ لمصرعي هذى الدموع الغاليه

نفريت : لا بل تعيشُ أبي وتبْـ ـقَى فى ظِلالِ العافيه

أجِّى تهيأ كلُّ شى ءٍ للنَّوَى المُترَاميه

فغَدًا تضُمنىَ القصو رُ بل القبورُ الجافيه

فى ألفِ جاريةٍ لقمـ ـبيزٍ هناكَ وجاريه

من كل مُرسَلةٍ هنا لكَ كالبهيمةِ ساليه

فبأىِّ قلبٍ يا مليـ ـكُ تَزُفُّنى للطاغيه

أدركْ فتاتَك قد ضعُفـ ـتُ عن احتمالِ الداهيه

[تدخل نتيتاس على فرعون أمازيس فتخرج نفريت]

فرعون : مَن أرى؟ إنه لحظٌ عظيمٌ نتتاس بنت الفراعين عندى

نتيتاس : التَّحايَا لعرشِ مصرَ المُفدّى من أبى ساكنِ السماءِ وجدّى

فرعون : وسلامُ الذى على عرشِ مِصرَ لا تؤدينه ؟

نتيتاس : وكيف أؤدّى؟

ليس بينَ ابنَةٍ وساقِ أبيها غصة الموتِ من سلامٍ وردّ

إن حقدى عليك دَيْنٌ وبِرٌّ ربّ لا يذْهبِ العقوقُ بحقدى

فرعون : احملى الحقدَ لى أو اطّرحيه وتمنَّىْ علىّ جاهى ورِفدى
اسألى تسألى أباك

نتيتاس : معـــاذ الـ ـلهِ فرعونُ ليس دنياكَ قصدى

فرعون : فيمَ قد جئتنى إذن ؟

نتيتاس : فى حقـــوقٍ لديارى وواجبٍ نحو مَهدى
كلُّ عامٍ صبيةٌ من بنات الـ ـشعبِ
تختارُ للفداء فتفدى
تنزلُ النيـلَ غيرَ عائفـةٍ ما فيه للموتِ من حياضٍ وورْد
سمحتْ بالحياةِ فى غير سـأمٍ
وسخَتْ بالشباب فى غيرِ زُهـدِ
تبتغى الخصْبَ والرخاءَ وتحتا لُ لعيشٍ بنعمةِ النيلِ رَغدِ
سقتِ الناسَ بعدَها لم تقُلْ قو لَ الأنانىّ : يهلكُ الناسُ بعدى

فرعون : قد عرفنا فهل تريدينَ منـا أن تكونى التى نزُف ونُهدى

نتيتاس : تلك مدفوعةٌ يقدِّمُها الكُـ ـهّانُ
لكننى تقدَّمتُ وحْدى

[مستعرة] : جئتُ أفدى وطنى من سيف قمبيزَ ونارِه
جئتُ أفدى وطنى من دَنَس الفتح وعاره
فرعون : ما ذا تقولين فيمَ جئتِ ؟ قمبيز؟ الفتحُ؟ مصر؟ فارسْ؟
نتيناس : نفريتُ تأبى المسيرَ هب لى مكانَها منك يا أمازسْ
فرعون : أنتِ التى تذهبين ؟
نتيناس : لم لا ؟
فرعون : هذا هو النُّبلُ يا نتاتِسْ
بخٍ بخٍ بِنتَ أخى
نتيناس [فى آستنكار] : أنتَ يا قاتلَ عمِّى ؟ ؟
لا ... أبى . يأبَى وأمِّى
فرعون : لا تدفعى نَتِيتَ بى ولا تَهيجى غَضَبى
نتيناس [كالمستهزئة] : تقتُلُنى مثلَ أبى!
[تظهر نفريت بالباب]
فرعون : من ذا أرى؟ نفريت، هيّا ادخلى لا تقف الأقمارُ بالبابِ
نفريت : تحيةُ الشمسِ لسارع أبى تحيةُ المعبودِ آمونِ

فرعون : أتيتِ لِوَفْقِ الأمرِ نفريتُ أقبلي
تعالَىْ أنبئُكِ الجليلَ تعالِي

نفريت : أبى لا جليلَ اليوم إلا مُصيبتِي

فرعون : ولكنّها قد آذنتْ بزوال

نفريت : وكيف وأنَّى ؟

فرعون : انظرى مَنْ يجلسى وأىُّ رسولٍ للسماءِ حيالِي
إلهٌ لعَمرى فى قميصِ أميرةٍ سعى لك يحبو عونَه وسعى لى

نفريت : نتيتاس أختى ؟

نتيتاس [لنفسها] : أُخْتَهَا ما أضلَّها متى كان بيتى مجرمينَ وآلِي

نفريت [لأبيها بعد أن سمعت نجواها] :
أبى أهذا بجمعُ اليومَ بيننا وما لابْنَةِ المَلِكِ القديم ومالِي

فرعون : لقد بعثتْها الشمسُ من عرشِ مجدِها
شعاعَ هدى من حَيْرةٍ وضلالِ
تُرَفُّ إلى قمبيزَ فى موضع ابنتِي
وفى موكبٍ من وَفدِه ورجالى

نفريت : نتيتاس

فرعون : قولى بنتَ فرعون

نتيتاس : أعْفِها

نفريت : ولِمْ

نتيتاس : ذاك عهدٌ يا أميرةُ خالى

فلا يستوى المُلْكُ القشيبُ جلالُه

وآخرُ مخلوعُ الجلالةِ بالى

نفريت : أحقٌّ نتيتا ما رَوَى المَلِكُ

نتيتاس : ما رَوَى أبوك صدَى صوتى ورجْعُ مقالى

نفريت : رويدًا نتيتاَ راجعى الرشدَ إنّما

تُضحّين يا أختِى بأنفسِ غالى

تُضحّين بالدنيا الجميلة والصِّبا وهذا الفضاءِ السافرِ المُتَلالى

أحقٌّ عقدتِ العزمَ ؟

نتيتاس : بعد رويّةٍ وأقنعتُ نفسى بعدَ طول نضال

ومالى لا أعطى الحياةَ إذا دعتْ بلادى . حياتى للبلادِ ومالى

المنظر الثانى

«حجرة عظيمة فى قصر فرعون — وفد من الفرس ينتظر رسول»
«الملك أمازيس ، هنا وهناك فى الحجرة نفر من حاشية فرعون»

رئيس الوفد : لقد جُلتُم فى بلدةِ العجلِ جَوْلةً
وما بَرِحتْ بالزائرينَ تُجابُ
فكيف وجدتم قوم فرعون ؟

قباذ : أمةٌ
إذا هىَ قيستْ بالشعوب عُجابُ
لهم مثَل ما للأُسدِ بالجنسِ عِزّةً
ضوارى الفلا عندَ الأسودِ كلابُ
هُمُ الشهْبُ والناسُ الجنادلُ والحَصى
وتِبرُ الثَّرَى والعالَمُون تُرابُ
وكلُّ الذى صاغوا من الفنِّ آيةٌ
وكلُّ الذى قالوا هُدًى وصَوابُ

الرئيس : خطبْنا اليهم أَمِيس بنتَ مليكهِم
فما كان إلا الاحتقارَ جوابُ
وأشفق أهلوها وقالوا حمامةٌ
دعاها الى الوَكْرِ السحيقِ عُقابُ

[ثم يعرض ببصره رجال القصر من المصريين]

تأمَّل (قباذُ) القومَ وانظر وجوهَهم
وجوهٌ عليها للهموم سَحابُ
ألستَ تراهُم كلّما نقلوا الخُطى
لهم جِيئةٌ من ريبةٍ وذهابُ

قباذ : ولكنهم ما قصَّروا عن ضيافةٍ
طعامٌ ونُزُلٌ طيِّبٌ وشرابُ
وخمرٌ فِنيقٌ بأيدى سُقاتِها لها نفحةٌ مِسكيّةٌ وحُبابُ
وماذا علينا أن تضيقَ وجوهُهم
إذا لم تَضق ساحٌ لهم ورحابُ

«وعلى أثر ذلك يخاطب رجل آخر من الوفد صديقا له»
«فى ناحية أخرى من الحجرة وكان عائدا هو أيضا من المدينة»

الرجل : زفيروس، من أينَ ؟

زفيروس : من جولة بمنفيس

الأول : كيف وجدت البلدْ ؟

وكيف آحتقارهُمُ للغريبِ إذا قام فى شأنه أو قعد

وكف عيونهُمُ حولَهُ إذا حملتـه احتمالَ الزمد

زفيروس : وجدتُ وجوهًا عليها النعيمُ ودُنْيَا على جانبيْها الـرَّغَدْ

وسُوقًا تفض وسوقا تُقامُ وخَلقًا يروحُ وخلقًا يَفـد

وشعبًا على خُطةٍ فى الحياةِ ونَظْمٍ به فى الشعوبِ انفرد

ولم أرَ مثـلَ صناعاتِهـم سُمُوًا وبُعـدًا على المنتقد

ولا مثـلَ أخلاقهم مبلغًا من الفضل أومن خلالِ الرَّشَد

إذا مرّ يافعُهم فى الطريق بشـيخٍ تنحَّى له أو سجَـدْ

الأول : تباركت النارُ. كانَ المديحَ لمصـر جُزافًا ولم تقتصـدْ

زفيروس : أحِى ما الذى أنت ناعٍ علىَّ وما قلتُ إلا الذى أعتقد

الأول [مبتسما] :

لقد سَحَرتْ مِصرُ الفارسىَّ ويا طالمـا نفثتْ فى العُقَد

ولكن زفيروس كيف الجنودُ
وكيف الحديدُ وكيف الزّردْ
وهل كنتَ تلقاهُمُ فى الطريق
وتنظُرُ أظفارَهم واللّبَدْ

زفيروس : أخى مارأيتُ بمصرَ الجنودَ ولم يأخذِ العينَ منهم أحد
سوى فتيةٍ من جنود القصورِ وضباطِها فى الثياب الجُدُدْ
يروحونَ فى الخُوَذِ اللّامعات
ويغدون فى الذهبِ المتّقد

الأول : إذن هو مُلكٌ بلا حائِط رقيق الأواسى ضعيف العَمَد
خلا الوكرُ من صرخات العُقاب
ونامت عن الغابِ عين الأسدْ
أولئك لا فى حماةِ الديارِ ولا فى العديد ولا فى العُدَدْ
طواويس فى عرصاتِ القصورِ
تروقُ تهاويلُها من شَهِد
ولا يُعجبنّك سلمٌ يرفُّ وخيرٌ يفيضُ ومالٌ لُبَدْ

وآثارُ فنٍّ تروعُ العقولَ وأجسادُ موتى تعيش الأبد
فما أنتَ راءٍ سوى جنةٍ هى الخُلْدُ أو طيفُه فى الخَلَد
يَهُبُّ عليها غدًا عاصفٌ من الفرسِ أنّى تمشّى حَصَدْ

ثالث متدخلا: صدقتَ أخا الفُرسِ قلتَ الصواب
غدًا يعصفُ الفُرسُ أو بعد غَدْ

أحدهم لآخر: أعلمتُم ماذا يُرَدِّدُ فى القصر وماذا يقالُ همسًا ووحْيًا

الثانى: ما يقولون هاتِ قُلْ

آخر: كيف صِدتَ الـ سِرَّ فى القصر كيف صدتَ النَّجيًا
هاتِ قل ما بأرض مصرَ عجيبٌ
مصرُ دنيا وسائرُ الأرضِ دُنيا

الأول: هم يقولون إن بنتَ أمازيـ
ـسَ عروسَ المليكِ تأبَى المُضيّا

الثانى: هازلٌ أنتَ ؟

الأول: بل سمعتُ حديثًا إن يكُن مُفتَرًى فماذا عليّا؟

آخر: إنه يَهْذِى دعوهُ كاذبٌ لا تسمعوه
ما الذى زخرف

الثالث : ألقى كِذبةَ الأجيال فوهُ
يزعم الملكةَ نفريـ ـت ابنةَ الملكِ أمازسْ
ترفُضُ السيرَ مع الوفـ ـدِ إلى أقطارِ فارسْ

آخر : ما خطبُه ما يدَّعى امض بنا لا تسمع

آخر يقول: فرعونُ مصرا لم يرض قمبيز صهرا

الثانى : مَنْ أمازيس ما الأميرةُ ما مصـ
ـرُ أفى الأرض من بقمبيزَ يهزا

آخر : أهذا خبرٌ يُروى غَبيٌّ أنتَ واللهِ
أتحتَ القُبةِ الزرقا ءِ من يسخَرُ بالشاهِ

الأول : اعزبوا ما لكم ولى قلّلوا الشتمَ والسُّخَرْ
ما الذى قد أتيتُه؟ ناقلُ الكفرِ ما كفرْ!
خبرٌ قيلَ قد يصـ ـحُّ وقد يكذِب الخبرْ

أحدهم : يا صحبُ كيف تُرى تَقضون ليلَكمُ
وكيف نومُكمُ فى هذه الدار

آخر : أمّا أنا فإذا استلقيتُ طوَفَ بى
شتَّى الخيالاتِ من سحرٍ وسحَّارِ
وأنت ؟

الأول : يغشى الكرى عينى فيصرفُهُ
عنها خيالُ تماسيحٍ وأثوار
من الثَّوابيتِ حولى كلُّ منتقلٍ
بغير رجلٍ ولا ساقينِ دوّار
يُجيلُ من خلفِها الأمواتُ أعينَهم
كأنها فى الدُّجَى أحداقُ أنمارِ
ولا تزال بى الأرواحُ طائفةً مناجياتٍ بألغازٍ وأسرارِ

آخر : أمّا أنا فإذا ما جئتُ مُضطجعى
عوّزتُ نفسىَ قبلَ النوم بالنارِ
فلا يطوفُ من الأرواحِ بى شَبَحٌ
من خيّرينَ وإن جلّوا وأشرار

آخر : هيّا اسمعوا ما رأيتُ أمسِ

آخر : ما ذاك ؟

الأول : صَهْ تكلَّموا بهمسِ

رأيتُ عصفوراً برأسِ إنسِ أقبلَ حتى صار عند رأسِي

فما ملكتُ عندَ ذاك حسِّي

آخر : ثُمَّ ؟

الأول : صحوتُ فوجدتُ نفسِي منطرحا أغط فوقَ كرسِي

آخر : وأنا :

ثان : أنتَ ما رأيتَ ؟

الأول : أعجَبَا مما رأى صاحبُكم وأغرَبَا

رأيتُ أبيسَ أتى مضاجعى فهزَّها بقرنهِ وقلَّبَا

ثم رأيتُ

الثانى : ما رأيتُ ؟

الأول : حدقا تَقلَّبَتْ فى الليل تحكى اللَّهَبا

آخر : ثُمَّ ؟

الأول : وقال العجل أنتم فارسُ ؟ قلتُ نعم . فقال لى لا مرحبَا

آخر في دهشة: يا عجبا العجلُ قد كلّمه يا عجبا

[يدخل تاسو حارس فرعون] :

تاسو : أيها الوفدُ سلامٌ لكُمُ بنتُ فرعونَ ستأتي بعدَ حينْ
نتلقّاكم بما يَزْكُو بكم من تحايا وتجيبُ الخاطبينْ

رئيس الوفد: أيها السيد تاسو أذنُ منا مرحبا بكْ
غِبتَ عنا زمنًا حـ ـتى اغتممْنا لغيابكْ
لم تَسَلْ عنا ولم تبـ ـعثْ رسولاً من صحابكْ

تاسو : يا كبير الوفد هذا الـ ـعطفُ قد أثّرَ فيّا
أنتَ لا تجهلُ من أنـ ـظمةِ الديوانِ شيّا
شرَفُ الخدمةِ لا يجـ ـعلُ وقتي بيديّا

فارسي [لآخر بصوت منخفض] :
تاسو ؟! ومن تاسو؟

الآخر : فتىً في القصرِ مرموقٌ جميلْ
نَدْمان فرعونٍ وصا حبُه وحارسُه النبيلْ
ويميلُ فرعونٌ إليـ ـهِ وبنتُه أيضًا تميلْ

[حارسان يدخلان فيصيح أحدهما] :

الأول : المَلِكُ فرعونُ سَارِعْ

الثانى يردّد : المَلِكُ فرعونُ سَارِعْ

« يدخل الملك والأميرة نتيتاس وكبار الكهنة »

« المصريين فيجلس الملك والأميرة ويقف تاسو »

« وراء الملك ، فينهض رئيس الوفد ويقول »

رئيس الوفد [إلى فرعون] :

بركاتُ السماءِ فرعونَ مِصرَا

وسلامٌ من عاهِلِ الأرض كسرى

رُسلُ قمبيزَ نحن لم نألُ إحسا

نَكَ يوماً ولا اهتمامَك شكرَا

قد خطبْنَا إليكَ زنبقةَ الوا

دِي وأعْلَى عقائلِ النيل قدرَا

نحمِلُ الشامَ إن أردتَ صداقًا

ونسوقُ العراقَ إن شئت مَهْرَا

ونُزَجِّي الكنُوزَ من قيمِ اليا

قوتِ والدُّرِّ والزُّمُرُّدِ تترَى

إنها فارسٌ وإنا لنرجو
أن سترْضَى بها حليفاً وصِهْرَا

فرعون أمازيس [إلى تاسو] :

قُمْ أجِبْ عنىَ الدهاقينَ تاسُو

تاسو : سيدى من أكونُ! مولاىَ . عُذْرا

تيناس : أبَتى أعْفِهِ

ثم الى تاسو : مكانكَ تاسُو أنا بالفصل فى مصيرىَ أحْرَى

تيناس [الى الوفد الفارسى] :

مرْحبًا وفدَ فارسٍ رسْلَ قمبيزَ مرحبَا
قد تأخرتُ عنكُمُ وأطلتُ التحجُّبَا
ونهَانى مُطَبِّبى فسمعت المطبِّبَا
خبَّأونى لوَعْكَةٍ ومن البردِ يُحْتَبَا
لم ير الناسُ صاحبًا كالعَوافى مُحَبَّبَا

رئيس الوفد : اشكرى اللهَ يابْنَتى واذكرى فضلَ مَاحبَا
كم سألنا بفاءَنَا بالذى طمأن النَّبَا

أمازيس [إلى تاسو بصوت منخفض] :

مالهَا تاسُ أطنبَتْ ... ولذا الشيخ أطنبَا
تركا خطبةَ الزَّوا ... ج وقامَا ليخطُبَا

نتيتاس [بصوت منخفض وقد سمعت ما دار بينهما] :

ما الذى ساء والدِى ... من كلامى وأغضَبَا
ما لِفرعونَ ساخطًا ... ولِتاسُو مُقطِّبَا

فرعون [بصوت منخفض] :

اجْعَلِى القصد يا بنَتِى ... لكِ فى القولِ مذهبَا

نتيتاس للوفد : قد دعوتم أبى لِمَا ... يرفعُ البنتَ والأبَا
إن فرعونَ كوكبٌ ... صاهَرَ اليومَ كوكبَا
اذكرُوا لى مُقامكم ... أترى كان طيِّبَا
أيها الوفدُ قلَّمَا ... صاهرتْ مِصرُ أجْنبَا
مرحبًا وفدَ فارِس

الملك [بصوت منخفض] :

شَبِعَ الوفدُ مرحبَا

نتيتاس : أنا إن عشتُ شِدتُ للـ ... ـدارِ بيتًا مطنَّبَا
فى عيونِ الوهادِ مِنْ ... فارِس أو على الرُّبَا

كلما لاحَ ضوءُه هزَّتِ الأرضُ منكبَا
رئيس الوفد : هَلُمِّى باركى يا نارْ على بنتِ الفراعين
ويا فارسُ هاتوا الغارْ وجيئوا بالرياحين
وحيُّوا زوجةَ الجبَّارْ على كل السلاطين

[وينثر الفرس الرياحين على الأميرة تتيناس وهم يتغنون] :

الكهنة المصريون يتغنون :

آمونُ قم شاركْ فرعونَ فى العُرسِ
تعالَ طُف باركْ فى ملكةِ الفُرسِ

* * *

نَحِّ الشياطينَ وانفِ العفاريتَ
واحرسْ بعينيك موكبَ نفريتَ

* * *

آمونُ هيِّ اشترِكِ فى عُرسِ بنتِ الملكِ
وقُم اليها كلِّل براحتيكَ راسَها
واشهد بمصرَ واجتلِ بفارسٍ أعراسَها

« ستار »

المنظر الثالث

« بهو عظيم من القصر زين بالمصابيح البديعة الألوان المصنوعة من ورق »
« البردى وأغصان الزيتون ، وصففت الأزهار ... والرياحين هنا »
« وهناك . وفى ناحية من البهو جوقة العزف من حاملات القيثارة ، »
« والعود ، والناى ، والدف . يموج المكان بأعضاء الوفد الفارسى »
« فى ملابسهم الفارسية الفاخرة وبرجال الحاشية وخدم القصر من »
« الحرس والكهنة بكبارهم وصغارهم وفتيان النوبيين ، وقد وقف قهرمان »
« القصر يصرف الوصفاء والنذل ويسخرهم فى شؤون الوليمة . وقد »
« مدت الموائد الفخمة وجعلت عليها ألوان الطعام المختلفة من خراف »
« مشوية وباردة وبط صيد ، ومن سمك النيل ، ومن الحلوى بأنواعها ، »
« وسلال الفاكهة . ووضعت هنا وهناك أباريق الذهب والفضة »
« المملوءة من عتيق الخمر . يجلس على المائدة فرعون أمازيس وبجانبيه »
« وأمامه كبار رجال الوفد الفارسى وعظماء رجال الكهنوت والدولة . »
« وينتشر الآخرون على جنبات المائدة يتحادثون جماعات جماعات »

فارسى [لصاحبه] :

فيروزُ . أنظر ترى الخِرافا ... حُمرًا لطافًا على الخوان
ذا سمكُ النيل فى الأوانى ... كأنه معصَمُ الغوانى
وأعينٌ تلك فى جُفونٍ ... أم ذلك البَطُّ فى الجفانِ

فيروز : ذكرتَ كأسًا ولم تُرحِّبْ بخمر ساموسَ فى الدنانِ
وخمرِ فينيقيا المصفَّى كأنه ريقةُ الحسانِ
فـ وز : وخمرِ مصرٍ فى قصرِ فرعو نَ
ثالث : تلك مجهولةُ المكانِ
الأول : فيروزُ ، دَعْنِي خلِّنى الخمرُ ليستْ دَيْدَنِى
من خمرِ آتينا وسا موسٍ ومصرَ أعْفنِى
الأكلُ يا فيروزُ شغـ ـلى وبه تَفَنَّنِى
تشربُ والبطنُ خلِي! يالَكَ من مُغَفَّلِ!
كُلْ هَيْءَ يا فيروزُ كُلْ
هذا الخوان قد كَمَلْ من كل جانبٍ حَمَلْ
هذا شُوِى هذا قُلِى
والبَط فى الأطباقِ بطبَط فى الرقاقِ
من رأسهِ للا رجلِ
ثالث : وهذه الإوَزَّ رجْراجَةٌ تهتَزْ
قد طُيِّبَت بالتابِلِ

فيروز [للأول] :

أخى كلانا قد صدَقْ فما لنا لا نتَّفِقْ
آكلُ ماتأكلُ من طعامِ ونَحْتَسِى معًا من المُدام

الثالث : هذا لعَمرِى مُحكمُ الكلامِ

فرعون [الى رئيس الوفد] :

سيدى لو تقولُ لى كيفَ قمبيزُ والقدحْ

الرئيس : إن قمبيزَ سيدى ملكٌ كله مَرَحْ
ليس تخلُو قصورُه من سرورٍ ومن فرحْ

فارس آخر : لكن له شُغلٌ عن ال ـخمرِ بطُولِ غزوتهْ

فرعون : أينَ تُرى يشربُها

الفارسى : يشربها فى خوذتهِ
كعبده ابنِ أمتِه

« ويخلع الفارسى خوذته ويصب فيها خمرا ويشرب »
« بعض صغار رجال الوفد الفارسى يتحادثون فيما بينهم »

أحدهم :

ليتَ شعرى فلستُ أدرى الى أ ى بلاء قمبيزُ يدفَعُ فارسْ

قد فتحنا الفضاء شرقاً وغرباً وملكناه من عُبابٍ و يابسْ
اتسعنا من الفتوح

آخر: يقيناً غيرَ أنا لم نفتكر بالحارسْ
خَلِّ «مانى» عنك السياسة دَعْها
خَلِّ عنك الفضولَ خَلِّ الوساوسْ

إن شرق البلاد ضيعةُ قمبيـ ـزَ وغربَ البلادِ حقلُ أمازسْ
سائسُ العالمين أسعدُ منه رجلٌ للحمار والبغل سائسْ

ثالث: انظر الحَفلَ «بهارٌ» استَخَفَّتْه الكؤوسْ

رابع: وفدُ قمبيزَ وهذا ملكُ مصرٍ أمازيسْ
ذهبُ الأرضِ عليهم غَرِقَتْ فيه الطقوسْ
ساسةُ الدنيا وكلٌّ غيرهم فيها مَسوسْ

الثانى: خَلِّنا بالله من سا سَ ودعنا من يسوس
لِمْ نَظُلُّ الدهرَ مَرْءو سينَ والغيرُ الرئيس
لِمَ «مانى» لا أنا رذْ لٌ ولا أنتَ خسيس

الأول: كلُّ ما أعجبَ كسرَى فهو فى الفُرسِ نفيسْ

كلّ حينٍ حاكمٌ يـ ـشى علينا ويدوس
هكذا يختلفُ الحـ ـظُّ سعودٌ ونحوس
إنَّ بعضَ الناسِ أذنا بٌ لبعض هُمْ رؤوس
منزلُ الأُسدِ الصحارَى وعلى المرْعَى التيوس

الأول : لِمَ يا « مانى » يسُودُو نَ ونبقى لا نسود
ونُقادُ الدهرَ والأخـ ـرُ يا « مانى » يقود

آخر : يا أخى نحنُ كلانا عاجزُ الرأيِ بايد
هذه الدنيا لِمَن يُقدِمُ فيها أو يُريد
سنّةُ الكونِ وما عن سنّةِ الكونِ محيد

آخر : أنا يا « مانى » طموحٌ أنا لا أكتُمُ عنكَا
أنا فى الدنيا وفى زينتها أرغبُ منكَا
أنا أهوَى سَعةَ العيـ ـش ولا أرضاهُ ضَنْكَا

الأول : إرْضَ بما كان وما يكونُ أو فانْفَاق
وهىّ نشربْ قَدَحَيْـ ـنِ أو فَهىّ انطاق

أحدهم : القَدَحَا . القَدَحا الخمرُ تَنفى التَّرَحَا

قصرًا أرى أم فلكًا وشجرًا أم قُزحًا (*)
وغادةً تسقى أم الـ ـظبيةَ أم شمس الضحى
وخوذا على رؤو س فارسٍ أم الرَّحَى
القدحَا القدحَا هاتوا الشعاعَ المُفرحَا
هاتِ السَّنَا هاتِ القَبَسْ هاتِ الشَّذَا هاتِ النَّفَسْ
هاتِ سراجَ المهرجا نِ هاتِ شمعةَ العُرُسْ
هاتِ ابنةَ الشعاعِ والـ ـظلِّ ابنةَ العَذْبِ السَّلِسْ

أحدهم [رئيس الوفد] :

مولاى ألقِ السمـ ـعَ وابعثِ النَّظَرْ
ماذا ترى ؟

الرئيس : أرى « بهارًا » قد سَكِرْ

الأول : فتاكَ غنَّى و فتاىَ قد شَعَرْ

الرئيس : وما الذى ضَرَّ ؟

الأول : صدقتَ لا ضررْ

(*) قالوا : إن قزح لا يفصل من قوس ، ولكن الناظم لم ير بأسا فى فصله لسهولته وكفاية دلالته .

٢٥

تيتاس [الى تقريت أمام فرعون أمازيس] :

ومالى لا أعطى الحياة اذا دعت بلادى : حياتى للبلاد ومالى

الرئيس : ونحنُ ما نصنعُ ؟

الأول : شُربٌ وسمرْ

الرئيس : ونحنُ أيضًا بَشَرٌ وهُمْ بشرْ

فليشربوا من ها هنا إلى السحرْ

أحد الشبان : رئيسَ الوفدِ لا زلتَ لما يرفعُ تُختارُ

ولا ساواكَ دهقانٌ ولا داناكَ أسوارُ

وغالَى بكَ قمبيزٌ وحلّت جسمَك النارُ

« يدخل وصيف من وصفاء القصر و بيده مومياء من الذهب »

« يعرضها على الضيفان . ووراءه رجل يقول و يكرر ... »

المُومِيا طُوفُوا بها واتّعظوا بخَطْبِها

لا تسألوا ما هي مَنْ ؟ نكرها طولُ الزمنْ

هَيَّا كلوا هَيَّا اشربوا هَيَّا اسمعوا هَيَّا اطربُوا

تمتّعُوا بالفانيهْ قبلَ الحياة الثانيهْ

خُذوا المُدامَ الصافيهْ قبلَ انكسارِ الآنيهْ

فارسي لآخر : خورشيدُ هذا هو البلاءُ كلُّ أحاديثِهم فناء

خورشيد : روايةُ الموت حيث راحوا وقصةُ الموت حيث جاءُوا

[يقترب تاسو من نتيتاس فى ناحية أخرى من المهد ويقول]

تاسو : نتيتاسُ ألاَ كاسُ ألاَ شكوى ألا عتْبُ
أيُنْسَى فى سُويعاتٍ ويُطوَى ذلكَ الحُبُّ

نتيتاس : دع الحبَّ فلم يُخلق له من لا له قلبُ

تاسو : وما ذنبى ؟

نتيتاس : لقد أحسنـ ـتَ لكن لى أنا الذنبُ
أنا أحببْتُ عابثًا سادرَ القلب جافيا
يعشقُ الجاهَ والغِنَى لا يحبُّ الغوانيا

[مسمرة] :

أنتَ كالنعمةِ من قصرٍ لقصرِ
أنت كالنحلةِ من زَهرٍ لزَهرِ

[مسمرة] :

أعدَت الأخلاقُ ما بيننا أينَ أخُو العهدِ من الناكثِ
لعبتَ بى فيما مَضَى عابثًا
فالعبْ بغيرى اليومَ كالعابثِ
أقسمْتَ لى فاذهب فأقسم لها
فأنتَ أهلُ القسمِ الحانثِ

أحببْتَ بنتَ الحيِّ حتى قضى ... واليومَ أحببْتَ ابنةَ الوارثِ
كم مجلسٍ كان لنا ثالثٌ ... فيه وقد تَعْمَى عن الثالثِ

تاسو : ما هو مَنْ ؟

نتيتاس : الحبُّ يا مدَّعِي ... والحبُّ حربُ الظالمِ العائثِ

[يعرض عنها تاسو ويبتعد]

نتيتاس [لنفسها] :

مضى الغادرُ لم يَشْعُرْ ... بما حمَّلَني الغدرُ
ولا رَقَّ لهُ نابٌ ... على جُرحي ولا ظفرُ
تكلمتُ فلم يسمع ... وأنَّى يسمعُ الصخرُ
لقد غامرتُ في تاسو ... وتاسو في الهوى غمرُ
كم استشفيت بالسِّحْرِ ... فما عافانيَ السِّحرُ
وكم ناديتُ آبائي ... فما لَبَّانيَ النَّصرُ
وكم جئتُ إلى الصَّبرِ ... فما أوانيَ الصَّبرُ
جزاءُ المُعرِضِ التَّيَّا ... هِ منكَ الصدُّ والكِبرُ
هَبِيهِ نَأَت الدارُ ... بهِ أو نَزَحَ القبرُ

هَبِي معرفةَ الغادِ ... رِ لم يأْت بها الدهرُ
أقلِّي شُغُلَ الفكرِ ... فقد أتعبكِ الفكرُ
هَبيهِ مرَّت السِّنُّ ... عليه ومَشَى العُمرُ
فلم يَبْقَ له نَهْيٌ ... على الغِيدِ ولا أمْرُ
ولم يبقَ له فى البَا ... لِ تمثالٌ ولا ذِكرُ

« مدعو من المصريين يشير إلى نفريت وهى متنكرة فى زى »
« يونانى ويقول لرجل بجانبه... ... ... »

المدعو : مَن المرأة ؟
الآخر : مَنْ ؟
الأول : تلكَ ... تَرَاها مثلَ طاوُسِ
تراها مع كالياسِ
الثانى : ومَنْ ؟
الأول : وارِثُ فانيسِ
أمير الجيشِ فى مَنْفِ ... وأسوانَ وسايِسِ
الثانى : أجلْ تلكَ التى تظهـ ... ـرُ فى أغرب ملبوسِ

فهذا الوجهُ مصريٌّ وهذا الزِّى سامُوسى

[رجل فارسى لآخر يدعى قباذ] :

الرجل : انظر قباذُ ما تَرى ؟

قباذ : أحسنَ شيءٍ منظرا

حمامةٌ تُطارِحُ الـ ـشجوى حماماً ذكرا

يا ليتَ أذنى سمعتْ من الحديث ما جرى

الأول : دعنى من ذِكر الهوى إنّنى مُذْ كنتُ لم أعشَقْ ولم أُعشَقِ

قباذ [فى تهكم] :

وأنتَ كالناسِ امرؤٌ عائشٌ تلك لعَمرى عيشةُ الأحمَقِ

الأول : قباذ قد عرفتُه ذلك تاسو الحارسُ

قباذ : الحمد لله على أن لم تحزهُ فارِسُ

إذن لهامَتْ كاعِبٌ بحبِّه وعانِسُ

[تاسو يقترب من تقريت] :

تقريت : تاسو هنا ؟ هاتِ اسقنا

تاسو : لبَّيْكِ يا ذاتَ البهاءْ لبَّيْكِ يا بنتَ السماءْ

يا ليتني كنتُ الرّحيـ ـق وليتني كنتُ الإناءْ

[ويناولها قدحا] :

نفريت : تاسُ ، مِنْ أينَ ومَنْ كنتَ من الغيد تُحدِّثْ؟

تاسو : كنتُ أُجامِلُ الضيو فَ وأُلَبِّي الملِكا
فعارضتني نتيتا سُ في خلالِ ذَلكا

نفريت : وما الذي قلتَ لها تاسُ وما قالت لكا

تاسو : عادَت لذكر حبِّنا القديم وعَطفَتْ على الهوَى الذَّميم
وطالَ العتابُ

نفريت : وطالَ السِّبابُ

تاسو : بحق الحبِّ نفريتُ أقِلِّي الشُّغلَ بالأُخرَى
ولا تُلقي لناتيتا س لا بالًا ولا فكرًا
غدًا تخلُو لنا مِصرُ غدًا يصفُو لنا القصرُ
غدًا ترحلُ لا أرجَـ ـعها البرُّ ولا البحرُ

نفريت : مالكَ تاسُ ولها خَلِّ الفتاةَ خَلَّها
للّه ما أعظَمها عِندي وما أجلَّها

قد أظهرتْ أمسِ أمـ ... امى فضلَها ونُبلَها

تاسو : ما فعلَتْ ؟

نفريت : ما أنتَ مَنْ؟ ... يَقدُرُ تاسُ فعلَها

ألم تصبِر عن الوطن المُفدَّى ... وتسمحْ بالدّيار وبالشبابِ

وترضَ بأن تُزَفَّ غداً مكانِي ... إلى النمرِ الأمير على الذئابِ

تاسو : صهٍ نفريتُ صهْ لا يسمعون ... فثلقَ مِصرُ أنواعَ العذابِ

« فى ضجة الوليمة يقف صاحبان هما : منا ، وأحامس ، ويتحادثان »

« صديقهما خوفو يقبل عليهما ثم القائد كالياس ... ... »

منا : أنظر أحامسُ

أحامس : ماذا؟

منا : فرعونَ بينَ صحابِهْ

أحامس : وما تَرَى من عجيبٍ؟ ... ماذا بفرعونَ ما بِه

منا : أنظر تجده إلهًا ... فى عبقرىّ ثيابِه

أحامس : لا تُلقِ بالًا إليه ... ولا إلى أذنابِه

غدًا يَصبُّ عليهم ... قمبيزُ سَوْطَ عذابِه

منا : أحامس ، استغفر لما قلتَه ... فالُ الشياطين ولا فالُك

أحامس : قد كنتَ مثلي يا مِنا ساخطا تلعَنُ فرعون فما بالُكْ

[ثم مستمرًا] :

تأمَّلِ القصرَ مِنَا وانظره أرضًا وسَمَا
أنظر ترى الإغريقَ فيـ ـه هُمْ لفيفُ العُظَما
أنظر تجدهم كُلُّهُمُ يملقونَ العجما

منا : ماذا على فرعونَ إنْ رعاهمُ وقدما
أليس للضيف على ضائفه أن يُكرَمَا

أحامس : وصاحبُ الدارِ إذنْ يموتُ جوعًا وظَمَا
وصاحبُ الدار إذنْ لا يتعَدَّى السُّلَمَا

خوفو : ماذا أثار الصاحبيـ ـن لِمْ وفيما اختصَمَا

أحامس : كُنْ مُنْصفًا إن رُمتَ يا خوفو تكونُ الحَكَمَا
تأمَّلِ القصرَ خوفو أفيهِ من مصرَ شيءُ
أليسَ فرعونُ فيه كأنَّه أجنبيُّ
فأينَ حفارُ مصرٍ وفنَّه العبقريُّ
والجيشُ خوفو !

خوفو : خذ الحذر يا منا يا أحامس

كالياس آتٍ إلينا

منا : ومن ؟

خوفو : خليفة فانس

أحامس : اليوم كالياس وأمس فانس

احتكر القيادة الأبالس

[ويقبل عليهم كالياس]

فرعون أمازيس [لناسو] :

أين أقزامى ؟ إمض جىء بأقزامى تاس

[يدخل الأقزام فى أزياء المهرجين ، فيقولون] :

تحيات لفرعون سلام الشمس للملك

سلام قائد الخيل سلام حامى الفلك

قهرمان القصر [للأقزام] :

هلموا رقصة الحور إذا طفن بهاتور

سماء العز والنور

أحد الأقزام : نحنُ القُزُم أنصافُ ناسْ
ناسٌ وبالشِّبْرِ نُقَاسْ

ثانى : نحنُ الدمى واللُّعَبْ بنا يتمُّ الطَّرَبْ

ثالث : هلُمُّوا رقصةَ الموتَى من الكهفِ إلى الكهْفِ
ودُورُوا كالتماثيل من الرَّفِّ إلى الرَّفِّ

آخر : ثِبِي بُثث على الجَدث ثِبِي ثِبِي
حَبْوَ الصَّغارُ على اليدِ والرُّكبِ
هيَا قِفى هيَا ازحَفِى هيَا العبِ
هنا الطعامُ هيَّا كُلِى هنا الشَّرابُ هيَّا اشْرَبِ

آخر : تعالَ يا دهقانْ أرْقُصْ مَعى
وأنتَ يا «أسوار» قُمْ اطاعِ
واقتَبِسا الأنوارَ من سارع
الجميع : عِشْ يا ملك مع الزَّمَنْ
مُطَاوِعًا مِصرَ المِنَنْ
وذائدًا عن الوطَنْ

[ثم يكررون عش يا ملك وينصرفون]

فرعون أمازيس [إلى وجهاء الفرس] :

يا وُجهاءَ الفرس قالوا لكم مصرُ بلادُ السّحرِ والسّاحر
فربّما سرَّكُمُ أنّني أجيئكُم بالساحرِ القادرِ

وينادي : حوتيب

حوتيب : لبّيكَ سارعْ

فرعون : تعالَ لَهُ الضّيوفا

حوتيب : سادتي إنّي في الكفّ وفي الجَبْهةِ أقرا
أنا أقرا لكَ حظّا أنا أقرا لكَ عُمرا
أنا الذي بسحرى المبينِ أستطلعُ المكتوبَ في الجبين

فرعون [إلى تاسو] :

تاسُوا اقْتَرِبْ

تاسو : لبّيكَ يا ساراعِ

فرعون : لِمْ أجلبُوا ما خطْبُهم ما الدّاعي

[ضجة وهمس]

فرعون [مستمرًا] :

وفيمَ هذا الهَمْسُ والتّراعي

تاسو : مولايَ إنّ الوفْدَ في ارتياعِ

قاسو [فى أذن الملك] :

انقلبتْ عصيُّهم أفاعِى

فرعون : يا لَحَوْتيبَ من فتًى صناعِ

رئيس الوفد :

للّه دَرُّ السّاحِرِ هذا من العباقِرِ

حوتيب : أناةً وفدَ فارسَ لا تُراعُوا ولا تُحصُوا دُعاباتِى عليَّا

خُذُوا قضبانَكم وتأمَّلُوها لقد عادَتْ كما كانتْ عِصيًّا

فرعون : حوتيبُ قد سرَّ ضيو فى أن يروْا ويسمعوا

فزدهُمُ فعندك الـ ـسحرُ الغريبُ الممتعُ

حوتيب : فرعون هذا شرفٌ يطيرُ بى ويرفَعُ

أصنَعُ ما كان دَدَا الـ ـساحِرُ قبلى يصنَعُ

فرعون : وما الذى تصنَعُ؟

حوتيب : جيء ئونى برأسٍ يقطعُ

فإنى أردُّه لجسمِه وأرجعُ

فمَنْ من الوفد برأ سِه إلىّ يدفعُ

رئيس الوفد [لرجاله] :

هل منكمُ يا معشرَ الفرسِ بَطَلْ
عن رأسه لساحرِ النيل نَزَلْ

حوتيب : هاتوا الرءوس لا يخافنَّ أحدْ
فكلُّ رأسٍ سيُردُّ للجسدْ

أحدهم : رأسيَ غيرُ هينِ

ثان : رأسي عمودُ بدني

ثالث : رأسي لديَّ غالي رأسيَ كلُّ مالي

فرعون : حوتيبُ ما من أحدِ هان عليه رأسُهُ
أنظر إليهم . كلهم عزّتْ عليهِ نفسُه
خلِّ حوتيبُ الناسَ واخـ ـترْ غيرَهم للتجربة

حوتيب : مُرْهمْ إذن أن يُحضروا إوَزَّةً أو أرنبه

فرعون [لناسو] :

امضِ ناسو جيء حُتيْـ ـبًا بإوزٍّ وأرانب

«يخرج ناسو ثم يعود ببضع من الأوز والأرانب . فيقطع حوتيب رأس إوزة»
«ويقول : شال هبد شال هبد لايعجز السحر أحد يا رأس عد الى الجسد»

الفرس : تعالتْ قدرةُ النارِ

المصريون : تعالَ الربُّ آمونُ

فرعون : هيّ حوتيبُ إمْشِ بينَ الصُّفُوفْ
وطالِعِ الجَبْهاتِ واقرأ الكُفوفْ

حوتيب : برأسِ مَنْ أبدأُ مُرْنِي يا سارَعْ

فرعون [مبتسما وملتفتا لتاسو] :

برأسِ تاسُو اقرَا ما فى جبينه
وبَيِّنِ المحجوبَ من شئُونِه

حوتيب [وهو يتأمل جبين تاسو] :

هذا فتًى باطنُه جمادُ
ليس وراءَ رأسِه فؤادُ
رأسٌ عليه وَقف الجلّادُ

تاسو : إخْسَأْ كذبتَ وضلَّ سحْرُكْ

فرعون : ورأسى ياحُتيب ألا تراهُ؟

حوتيب : جَبينُكَ أعفنى مولاىَ منه

فرعون : تعالَ حُتيب

حوتيب : لا . هذا شديدٌ جبينُ الشمس تنبو العينُ عنه

يا عجبا ماذا أرى؟

فرعون : ماذا ترَى

حوتيب : دَمٌ جَرَى

فرعون : دَمِي أنا ؟

حوتيب : لا سيدى عُوفيتَ بل دَمُ الورَى

تاسو : إذن ليجرى كالمطر ما هَمَّنا دَمُ البَشَر

إذا سلِمْتَ يا مليكْ فليَهْلِكَنَّ مَن هَلَكْ

كاهن لآخر [بصوت منخفض] :

إنّ هذا الغلامَ فيه قساوهْ

الآخر : قلتَ حقًّا وفيه أيضًا غباوَه

فرعون : وبعدُ ماذا ؟

حوتيب : حربٌ عوانُ يَشيبُ من هَوْلِها الزمانُ

فرعون : وهل أكونُ ياحوتيبُ فيها
حوتيب : سِواك يا مولاى يَصْطَلِيها
فرعون : وأنبِي بسامَا يا حوتيبُ ما تَرَى ؟
هل يَشهَدُ الحربَ وهل يراها
حوتيب : سيدى ليتَ الأميرَ حاضرٌ أنا لا أقرأُ إلا فى الجبين

[فهرمانة القصر تطيف بالعازفات والحسان وتقول] :

الفهرمانة : قُمنَ إلى اللهو يا عذَارَى وخُذْنَ صَنْجًا وخُذنَ دُفّا
واهتِفْنَ بالشِّعرِ والأغانِي واقطعْنَ ليلَ الشبابِ قصفًا

* * *

وأنشدْنَ مع القومِ نشيدَ المَلِكِ العالى

[ينشد الجميع نشيد فرعون مع الرقص وآلات الطرب]

النشيد : فرعونُ أنتَ الرفيعُ أنتَ العظيمُ الشّانِ
وأنتَ سدٌّ منيعٌ من جارفِ الفيضانِ

* * *

وأنتَ كالصّخرِ تحمِي من نكباتِ العواصفْ
مِن قاطع الطرق يأوِى إلى حِماكَ الخائفْ

* * *

وأنتَ من صخرِ طيبه حِصنٌ مشيدُ الجدارِ
يُؤْوَى إليكَ ويُلْجَا إلى طلوع النهارِ

* * *

أنت اخضرارُ الرِّيفِ وأنتَ حُسنُ الرَّفيفِ
تَرُدُّ بطشَ القوىِّ وفتْكَهُ بالضعيفِ

« فرعون يغادر مكان الوليمة فينطلق »

« المدعوون على إثره ولا يبقى إلا نتيناس »

نتيناس [لنفسها] :

أفيقِي بنتَ فرعونِ فما يَزْكُو بكِ السُّكرُ
غدًا تَذْرُو رياحُ الفر سِ من موتاكِ ما تذرُو
غدًا يُصبَغُ من شَطَّ لشطَّ بالدَّمِ النَّهرُ
غدًا يُهْتَكُ عن أربا بِكِ المحرابُ والسِّتْرُ
فما تاسو وفتيانٌ كتاسُو فى الحمى كثر
هم النَّحلُ وإن هابُوا لقائى وأنا الزهرُ
يموجون بساحاتى ويَزْهُو بهمُ القصرُ
ولكن بينَ جنبىَّ هوًى أولَى به مِصرُ

« ستار »

الفصل الثانى

فى مدينة سوس الفارسية

« فى حجرة فارسية فخمة مفروشة بثمين الطنافس ومملوءة بالوسائد »
« من الحرير المختلف الألوان ، وقد زينت زواياها بالرياحين »
« الكريمة ، الملكة ووصيفتها تتى فى الحجرة المذكورة ... ... »

الوصيفة تتى [وهى تصلح رأس الملكة وتمشط شعرها] :

تبارك الذى خلق ... أقولها ولا ملق
ذوائبٌ أم الدُّجَى ... ومَفرِقٌ أم الفَلق ؟
غدائرٌ فى الكَتِفين ... من أُسْدِلتْ وفى العُنُق
كأنها من الحرير ... والأسود الخيط شُقَق
لم يَخلُ جوُّ فارس ... مُذ ضَمَّها من العبق

الملكة : ما تصنعين ياتتى

تتا : أُصلحُ مولاتى

الملكة : لمَنْ ؟

الوصيفة تنى [وهى تصلح رأس الملكة وتمشط شعرها] :

تبارك الذى خلق أقولها ولا ملق

تتى : للزوج يا سيدتى
الملكة : لنمر الفرس الخشن
تتى : هبيه ذئبًا ملكتى أو نمرًا أو كركدن
أليس للأزواج تلـ ـبس النساء ما حسن

الملكة [ملتفتة إلى وصيفتها تتى] :

قلت حقا تتى فإن على المـ ـرأة للزوج أن تكون أمينه
وعليها ألا تقصر بشرًا حيث تلقاه أو تقصر زينه

تتى الوصيفة : بل تحلى مليكتى والبسى حلة البهاء
وافتنى من بفارس من رجال ومن نساء
إن كسرى وقومه كلهم فى الهوى سواء
أنت كالشمس فى الضحى فانشرى الحسن والضياء
لا على القصر وحده بل على الأرض والسماء

الملكة : يا لك من وصيفة مملقه
عارفة بالجمل المنمقه

الوصيفة : لقد وضعتُ ذهبًا فى البوتقه
ولم أصف بالطيب إلا زَنبقه
وقلتُ عن شمس النهارِ
الملكة : مُشرقه

« ويظهر على الملكة التفكير واشتغال البال بغتة »
« ثم تتغنى فى نفسها وهى مقبلة على المرآة تنظر فيها »

الملكة [فى نفسها] :

يا ظالمًا أحببته جهد الهوى وإن غدرْ
ومن هجرتُ وطنى لأجله حينَ هجَرْ
قلبُك لحمٌ ودمٌ مثلُ القلوب أم حجَرْ
لم يتنصّلْ مرةً مما جنى ولا اعتذَرْ
جسمٌ كسلسالِ الصفا على فؤادٍ كالصخَرْ
وزَهرٌ أنتَ وتلـ ـك النفسُ أنفى فى الزَّهرْ
لم تجنِ يا تاسُ علـ ـىّ إنما جنَى القَدَرْ
ذنبك لا يُغفَر إلا أن قلبى قد غفَرْ
إن غِبتَ عن عينى فأنـ ـتَ فى سوانح الفِكَرْ

أراك كلما رأيـ ـتُ طائرينِ فى الشجرْ
وكلما بدَتْ لىَ الـ ـشمسُ ولاح لى القمرْ
وكلما جئتُ الربا ـضَ ووقفتُ بالغُدُرْ
وكلما ترنَّم الـ ـشادى وحرَّكَ الوتَرْ
وكلما دبَّتْ ورا ءَ الليل نسمةُ السَّحَرْ
ياليتَ شعرى كيفَ أنـ ـتَ ما تجىءُ ما تذَرْ
وكيف حُبك الجديـ ـدُ هل خَبَا وهل كَبِرْ
وهل وَفَيتَ أم غدر تْ بالعشيقات الأُخَرْ

الوصيفة : دَعِى الناسيَ مولاتى وخلِّيكِ من السَّالِى
ولا يخطُرْ لكِ الناكـ ـثُ للعهد على بالِ

نتيناس : هبيه ياتتا خانَ فمالى لا أفى مالِى
لـه خُلْقٌ ولى خَلْقٌ ولكنْ خُلْقِىَ العالى

تتا : هوَ يا ملكتى مثـ ـلٌ ولكنْ من الوَحَلْ
كان يكفى لبُغضِهِ بعضُ ذاك الذى فعَلْ

نتيناس : أنا أفديهِ ياتتا بحياتى وإن قتَلْ

تنا : لو كان معشوقي أنا

نتيناس : ما الذي كان يُلاقي ؟

تنا : آه لا أدري

بالصَّفع أجزيه وبالرَّكْلِ أو

كنتُ أُريه النَّجمَ في الظُّهر

نتيناس : الحبُّ في ناحيةٍ وأنتِ ذي في ناحيهْ

ما هكذا الحبُّ بَنَاتَ ما الحبُّ إلا التضحيه

[تسمع ضجة وصياح وحركة جنود وراء القصر وصوت استغاثة] :

يقول المستغيث :

العفوَ يا كسرى الصفحَ يا سلطانْ

أخوكَ والنارِ ومجدِها ما خانْ

الملكة : إسمعي يا بَنَاتَ ألم يأتكِ الصوتُ ؟

تنا [وتطل من النافذة] : أجَلْ ثمَّ ضجَّةٌ وعويلُ

ثمَّ خيلٌ وشُرطةٌ وسلاحٌ

الملكة : ليتَ شِعري مَن البريء القتيلُ

تنا : أقتيلٌ يا بنتَ فرعونَ ؟

الملكة : لِمْ لا ليس في أرض فارس مستحيلُ

* * *

يا تِتَا نحنُ فى بلدٍ كلُّ قلب به جمدُ

* * *

الحىُّ فيه رخيصٌ والميتُ أرخصُ منه

* * *

هنا الميتُ تُنفضُ منه الأكف وتنهى الشرائعُ عن دفنِهِ
ويُطرَحُ ناحيةً فى الفضاءِ على سَهْلِهِ أو على حَزنِهِ
تروحُ الحداءُ على رأسه وتغدُو الذئابُ على بطنِهِ

تا: ويحهُمُ ويحهُمُ أمَا مِن الناسِ هُمُ؟
ذلَّتْ وهانَتْ أُمَّةٌ ميتُهُمُ لا يُكرَمُ

الملكة [وهى مطلة]:

تِتَا هذا هو الحارسْ وهذا مَنْ تُحبِّينَا

* * *

كذوقِكِ يا تِتَا لم يَعْلُ ذوقٌ أتمثالُ حبيبكِ أم إلاهُ

تا: ولو فوق الإله يُحَبُّ شىءٌ ويُكرَمُ لم يكُنْ أحدًا سواهُ

* * *

تأمَّلِى كتِفَيه تأمَّلِى مِنكبَيْهِ كأن صقرَيْن حطَّا فظَلَّا شاربَيْه

الملكة: انتظرى لابُدَّ لى أن أسأله

تتا : لا تفعلي مالكِ مولاتى ولهْ

الملكة : يأيها الحارسُ

الحارس : لبَّيْكِ

الملكة : مَنْ يقتلون اليومَ فى الساحهْ؟

الحارس : أختُ الملِك أتوسيا

الملكة : أختُ الملكْ ؟

الحارس : أجل هيَا

اتهمت ببُرديا

تتا : من برديا؟

الملكة : أخو الملك! يقطع فى الساحة رأس برديا

يا أسفا عاوده جنونُه

تتا الوصيفة [وقد أطرقت الملكة لحظة مفكرة مغتمة] :

ما بكِ مولاتىَ ما غمّكِ ما هذا الأسى؟

الملكة : لا شيءَ بى لقدْ وهمـ بتِ يا تتا لا شيءَ لا

الوصيفة : بل أنتِ تكتمينَ غمّا طافَ أوهمّا سرى

هلا ذكرتِ أننا غريبتان ها هنا

أنت لىَ الأهل ولـ ـكنى أنا لكِ الحمَى
وما على الغريب إن جاءَ الغريبَ فاشتكى

الملكة : صدقت يا تتا أنا وأنت فى الكرب سَوَا
قد اجتمعنا بعد قُر بِ الدارِ فى دارِ النوى

تتا : أينَ إذن تبسُّمٌ كالصبح من فيكِ يُرى

الملكة : لقد رأيتُ الهولَ والـ ـزَّ وْلَ وما هَدَّ القُوَى

تتا : أضغاثُ أحلام وزو رٌ من تهاويلِ الكرى

الملكة : رأيتُ رؤيا يا تتا هل لكِ علمٌ بالرؤى؟

الوصيفة [بعد تفكير] :

أجلْ تذكرتُ أجلْ عندىَ من ذاكَ شدا
قد كنتُ فى الصِّبَا على أبى أقُصُّ ما أرى

الملكة : رأيتُنى كأننى فى قصرِ أبائى بِصَا

الوصيفة : فى القصرِ من صا لحجر قصرِ الجلالِ والبهَا

الملكة : رميتُ عينىَّ من الـ ـقصرِ إلى أقصى مدَى
رأيتُ واديًا كطو ل البيدِ أو عرضِ الفلا

أصفرُ من شعابه بنفسجيّ المُنحَنى
إحمرَّ مثلَ قُزَح هناك واخضرَّ هنا
رأيتُ ليثًا أحمرَ الـ ـجلدةِ خشنًا كالصفا
فاغرَ فيهِ عن نيو بٍ مثل مشروع القَنا
انقضَّ كالصخرِ على الـ ـوادى فأفْنَى فَرنَا
ونظرَ النيلَ وقد عَبَّ وماجَ وطغى
وخرجت منه التما سيحُ فُرادى وثُنَى
وأعْوَلت حتى لقد سدَّ عويلُها الفضا
فعُقِرَ الليثُ فلا رِجْلًا رمى ولا يَدا
وقرَّ فى مكانِه كأنه بعضُ الدُّمَى

الوصيفة : ثمَّ ؟

الملكة : رأيتُ حنشًا ليسَ له مِصرُ تَرَى
لم ترَ منفُ مثلَه ولا الصعيدُ قد رأى
كأنه صاعقةٌ تحدرتْ من السما
مشى إليه كلُّ ذى قوسٍ وكلُّ ذى عصا

وخرج الكهانُ يتـ ـلونَ الصلاة والرُّقَى

الوصيفة : وما الذى حلَّ بـه؟

الملكة : لم يُصبْ الوحشَ أذى

الوصيفة : حقَّقْتِهِ سيدتى؟

الملكة : حقَّقْتُه على الضُّحى

الوصيفة : فكيف كان ؟

الملكة : صورة تُشيبُ الرُّؤُسَ النَّشا
كأنه فانيسُ عيـ ـنَيْنِ ووجهًا وقفا
حتى تعوَّذتُ بآ زيسَ وآبائى العُلى

الوصيفة : فانيسُ مَنْ ؟

الملكة : نسيتِه ؟ كيف نَسيتى يا تَى
الخائنُ الذى إلى فارسَ من حينٍ أتَى
يَشِى بمصرَ وأخا فُ أن يكون بى وشَى

الوصيفة : ما صنعَ الثعبانُ مو لاتى

الملكة : من النهرِ دنا

وفَحَّ ثُمَّ دَسَّ فى الـ ـنهر لسانًا كاللَّظَى
فاحتجبَ النيلُ وعا دَ يَبَسًا ما كان ما
واحترقتْ مدائنٌ بالضفتَيْنِ وقُرَى

الوصيفة : والليثُ يا سيدتى؟

الملكة : بعد التهيّب اجترا
مشى على الوادى فهلْ رأيتِ عاصفًا جرى؟
يقتلعُ اليابس والـ ـرَّطبَ ويفرى ويطا
وكرَّحتى غادرَ الـ ـوادىَ قاعًا صفصفا
هو ذا الحُلْمُ فما تفسيرُه نبئينى ياتِتَا

الوصيفة [لنفسها مضطربة] : ماذا أقولُ؟

الوصيفة [للملكة] :
مَلْكتِى لا تفزعى

الملكة : كيف تِتَا كيف لا أفزعُ والحُلْمُ مهولُ
ينفدُ النيلُ ويذوى شَطُّهُ
وتَغولُ الأهلَ والأوطانَ غُولُ

الوصيفة : رؤياك يا سيدتى من نفسها مؤوّلَه
نالتْك من عَشاءِ أمـ ـس ثِقلَةٌ ووَبَلَه

الملكة : ماذا أكلتُ مع قمـ ـبيزَ وما قُدّم له؟

الوصيفة : كان العشاءُ ملْكتى مائدةً محمَّلَه
أكلتِ يا سيدتى من أرنبٍ متبَّلَه
ثم أكلتِ من حَمَلْ وحَمَلُ الفُرسِ جَمَلْ

الملكة : ثمّ؟

الوصيفة : جاءوا بالطيرِ فى الأطباقِ

الملكة : طيرُ مَنْ ؟

الوصيفة : طيرُ فارسٍ والعراقِ

الملكة : ثمّ ماذا؟

الوصيفة : ثم جاءوا بالسمكْ
فرأيتُ الملكَ فى الأكل انهمَكْ

الملكة : ثم ماذا؟

الوصيفة : لا أُعُدُّ ماحضَرْ من لحومٍ وبقولٍ وخُضَرْ

ثم بالحَلْوَى أتَوْا والفاكهة

الملكة : كيف كانت ؟

الوصيفة : تشتهيها الآلهة

الملكة : خلّطتِ تخليطَ العجوز يا تِتَا فما علاقةُ الطعام بالكرَى

الوصيفة : الأكلُ قبلَ النومِ ثِقلٌ وأذى وربّما جاء بأضغاث الرُّؤَى

الملكة [لنفسها] :

عرفتُ الآن رؤياىَ وما خلّطَ أحلامى

وقد يُغريكَ بالأكلِ طُهاةُ الفُرس والشام

[ثم الى تتا] : تِتَا أينَ كنتِ ؟

الوصيفة : وراءَ الخَدمْ

الملكة : وكيف عَددتِ على اللُّقَمْ

الوصيفة : لبِثْتُ هناكَ فما من يدٍ تفوتُ علىّ ولا مِن قَدَمْ

ولم يخفَ عنىَ كيدٌ يطوفُ ولا وحىُ لحظٍ ولا همسُ فَمْ

أخافُ القصورَ وأخشَى السمومَ وما مترلُ السُّمِّ إلا الدَّسَم

الملكة : يا لَكِ من رفيقة محسنةٍ شفيقهْ
مَرْحَى تِتَا كذا تِتَا فلتكنْ الصديقه
الوصيفة : سيدتى أنجلتنى ليس بما جئتُ عَجَبْ
ما قُمتُ يا سيدتى إلا ببعض ما وَجَبْ
الملكة : ولكن يا تِتَا ما أخ طَرَ السُّم على بالكْ
ولى فى فارس عامٌ فما فكَّرتُ فى ذلكْ
الوصيفة : أرى قمبيزَ والفرسَ بمولاتَى قد جُنُّوا
ولولا ذاك لم يخُلُ من السُّمِ لها ذُهنُ
الملكة : ولِمْ لا نحذرُ السُّمَّ أما فى فارس نحنُ
هنا الجلادُ والسيفُ هنا السَّجَّانُ والسَّجْن
الوصيفة : وماذا ضَرَّ ما قالتِ إذا لم يَحِنِ الحِينُ

الملكة [بعد برهة تفكير] :

أرى قمبيزَ ذَلَّ ورَقّ طبعا بربِّكِ هل رأيتِ عليه حُبَّا
الوصيفة : أجلْ هو يقصرُ الخطوات مهلًا وكان يَمُدُّها خَطْفًا ووَثْبَا

[ثم فى تلعثم وتردد] :

سأسألُ فآحلمى عنى فإنى ... أموتُ ولا أراك على غضبى
سؤالُ ملكتى هل من جوابٍ

الملكة : ... أدُونَكِ يا ئتا شىءٌ يُحَبَّا

الوصيفة : زعمْنَا أن قمبيزًا مُحِبٌّ ... فهل تجزينه بالحبِّ حبَّا

الملكة : أحبُّ أنا؟ ضَلَّ ماقد ظنَنْتِ ... وإن خِلتِ ظنَّكِ لم يكذبِ

الوصيفة : ولِمْ لا ؟ وقمبيزُ لا بالقبيح ... ولا بالدميم ولا بالغبى
ولا هو بالملكِ البربرىّ ... ولا الوحش ذى النَّابِ والمخلبِ
ولكن فتًى خيِّرٌ كالسحابِ ... وضِيءُ البشاشةِ كالكوكبِ
يزينُ السريرَ إذا احتلَّه ... وإن سار كان حُلَى الموكبِ

الملكة : صدقتِ ئتا هو زينُ الشبابِ ... إلهُ القنا قمرُ الغيهبِ
إذا غُلِبَتْ فى القتالِ الملوكُ ... وفى السِّلمِ عزٌّ فلم يُغلَبِ
يُسيطرُ كالشمسِ سلطانُه ... على مشرق الأرض والمغربِ
ولكن متى يا تِتا دُلِّهَتْ ... بناتُ الفراعين بالأجنبِ

وما نلتقي فى جلالِ الجدودِ ولا فى العقيدةِ والمذهبِ
بَخٍ بَخٍ تتا ألفَ مرحَى تِتا

الوصيفة : حَنانَيْكِ عفواً ولا تغضَبى
لقد قلتُ حقًّا وماذا علىَّ إذا قَوْلَةُ الحقِ لم تُعجبِ

« تنسحب الملكة إلى غرفة مجاورة ويدخل قمبيز ... ... »

قمبيز [يدخل وعليه أمارات الغضب] :
ما أرى من تتا؟ تتا أين مولا تُكِ فيم احتجابُها أين سارتْ

تتا [لنفسها]: ربِّ ماذا به وما هاج قمبيـ ـز وما بالُ نفسِهِ اليوم ثارت

تتا [لقمبيز]: هى فى حجرة الملابس

قمبيز : لا بل هى قد جاءها النبأ فتوارت
خبّرينى من أبوها أ يرياسٌ أم أمازسْ
وبنفريتَ تُسمّى أم تُسمّى بنيتاتس
إحذرى أن تكذبينى إحذرى سلطانَ فارس

تتا : سيدى ما هذه الأخـ ـبار كسرى من رواها
سيدى كيف اتهمتم ملكة الفرس النبيله

قمبيز : سأريها كيف تنقا دُ وتأتى لى ضئيله
فى غدٍ تدخلُ مصراً بنتُ فرعونَ ذليله
وترى السيفَ مَخُوفًا وترى النارَ مهوله
وترَى النيلَ دمًا والـ ـأرضَ جَرْداءَ مَحُولَه
لا أناسٌ لا مواشٍ لا بناءٌ لا نخيله
الوصيفة : سيدى صبراً تجِدْ عاقبةَ الصبرِ جَميلَه
سيدى لا تُصْغِ إلا لسَجَاياك النبيله
قمبيز : أنا لم أخلَق لبسطِ الـ ـكَفِّ أستجدى بخيلَه
أنا للسّيف وللرُّمـ ـحِ وإخضاعِ القَبيلَه
لا تِتَا . لا . إنّ بالملـ ـكةِ كبراً ومخيلَه

[ثم بسخرية] :

أنا من تُرْبٍ خَسيسٍ وهى من أرضٍ جليلَه
أنا للطّينِ سليلٌ وهى للشمسِ سليلَه

الملكة [وهى راجعة] :

ما الصوتُ مَنْ تُكلّمينَ يا تِتَا ؟

الوصيفة : سيدتى . سيدى الملكُ أتى

الملكة [ملتفتة] : الملكُ جاء حجرتى ؟ كيفَ متى ؟ ؟

[ثم ناهضة ومقبلة على الملك] :

الملكُ فى مقصورتى يا مرحبا يا مرحبا

الملك [ويقبل على الملكة] :

سلامٌ مُلكة الفُرس وبنتَ العليةِ الصِّيد

الملكة : سلامٌ سيدَ الأرض سلامٌ حيدَر البيد

ومن دانتْ له الدنيا وألقتْ بالمقاليد

[ثم مستمرة] : لم أتعوّدْ أن أرى مولاىَ عندى فى الضُّحى

قمبيز : خالفتُ نظمَ عادتى وجئتُ فى شأنٍ دعا

الملكة : مالَكَ كسرَى عابسًا مالى أراكَ مُغضبًا

الملك [ويصفق] :

أجلْ جد غضبان

الملكة : مِمَّ الغضَبُ ؟

الملك : رُوَيْدَكِ نفريتُ تدرِى السَّبَبْ

الملكة [لنفسها] :

دعانِيَ باسمِيَ لم يَدْعُنِي كَأُلُوفِ عادتِه باللَّقَبْ
تُرَى لم يَزَلْ جاهلاً أننى أتيتُ لفارسَ باسْمٍ كَذِبْ

قمبيز [ملتفتا وراءه خارج الباب وينادى] :

فانيسُ . أَقبِلْ أُدنُ جِىءْ

الملكة [لنفسها] : فانيسُ ؟ لا . لا يدخُلِ

فانيسُ لا أجهلُه ليس لمصرَ بالولِي
عدوُّ قومِي وبلا دى كيف يُصفى الودَّ لِي

[ثم إلى قمبيز]: مولاى إنى ما فرغـ ـتُ بعدُ من تجمّلِي
فكيف أستقبل فى هذا اللباسِ المهمَل

[لنفسها] : يا ويلتاه ما أرا دَ باصطحاب الرجلِ
إيزيسُ ما بالىَ أحـ ـسستُ بشرٍّ مقبلِ

الملك : مالَكِ يا ملكةُ لم تُرَحِّبِي وتَحْفِلِي؟
مالَكِ أجفلت ؟

الملكة [مضطربة] : أنا ؟ لا سيدى لم أجفلِ

الملك : إذَنْ هَبِي الأُذنَ لفا نيسَ دَعِيه يدخل

الملكة : لا بأسَ فى أن أراه عندى إن كنتَ يا سيدى مُصِرًّا
لكن أأنسيتَ أن فانيد سَ خانَ بالأمسِ عهدَ مصرَا
وفَرَّ منها ولستُ أدرى ماذا دَعَاه لأن يفرَّا
وكان فى الجيش ذا مكانٍ وقادَ بَرًّا وقادَ بحرَا

قمبيز : لكنه اليومَ فى بلادى أجَلُّ مما ذكرتِ قَدرَا

الملكة : وسوفَ يجزيكمُ جحودا كما جزى أهلَ مصرَ كُفرا

قمبيز : لقد أتانى بكلِّ سرٍّ عن مُلْكِ مصرٍ لم يُخفِ سِرًّا
حتى الذى تكتُمِين عَنِّى

[ثم ينادى] : فانيس

فانيس : مَلْكِى لبيْكَ عشرَا

[ثم هو يدخل] :

سلامُ الشمسِ من مصرَ سلامُ النارِ من فارِسْ
على المَلِكةِ نفريتَ أو المَلِكةِ نيتاتِسْ

الملكة [لنفسها] :

رمانِى النَّذلُ بالسَّهمِ

[ثم لفانيس] : سلامٌ لكَ يا فانِسْ

ويا مَن هو فى الفُرسِ ومصرَ القائدُ الفارسْ
وفى القصرين من سوسِ وسايسَ هو الحارسْ
فانيس : وماذا ضرَّ يا بنتَ الموالى وإن تأبَى فيابنتَ الأعادى
أجلْ مولاتِىَ الإغريقُ قومى أحبُّهمُ ويونانٌ بلادى
هجرتُهما إلى مصرٍ صبيًّا لكَسْبِ معيشةٍ وطلابِ زادِ
فصِدْتُ الرزقَ حتى صارَ عندى وجاوزَه إلى المجدِ اصطيادى
مهرتُ على اللواءِ بمصرَ جُهدى وفرعونٌ وقومُك فى رقادِ
الملكة : كذبتَ فلم تكن إلا مسودًا
فانيس : فسوَّدَنى ذكائِى واجتهادى
الملكة : أجيرًا كنت عند أبى وقومى
فانيس : فمَوَّلَنِى نشاطى واقتصادى
جعلتُ الأرضَ كالصحراءِ تحتى وكنتُ الليثَ من وادٍ لوادى
الملكة : أراكَ علىّ يا فانيسُ تجرو أجرَّأَكَ المليكُ على عنادى؟
ككلبٍ خلْفَ سيِّدِه تجرَّا فواثَبَ رائحًا وسَطَ بغادى

فانيس : بدأتِ أميرةَ الوادى بشتمى وما أنا يابنةَ المقتولِ بادى
لقد عيرتنى أنى غريبٌ ولوعٌ بالسفار وبالرِّيادِ
الملكة : لقد هجمَ الوقاحُ على مكانى وأخشَى أن يصيرَ إلى التمادى
[ثم للملك] : مولاىَ قِفْ فانيسَ عند حدِّه أو ردَّه لا تُلجِنى لردِّه
علمتَ حقدَه على قومى فلا تَدَعْهُ يَنفُثْ فى سُمِّ حقدِه
الملك : عَلامَ أقصيه
الملكة : لأنه أتى يَشِى بنا ويفترى كعهدِه
الملك : فانيسُ جاءَ ناقلاً مُبلِّغا وليس ما جاءَ به من عندِه
[ثم مستمرًا] :
أراكِ نفريتُ غيرَ منصفةٍ رُوَيْدَ لاشىءَ يوجبُ الغضبَا
كونِى مكانى! ؟ما كنتِ فاعلةً؟ إذن قلبتِ الزمانَ فانقلبَا
الملكة : لا سيدى إن للزمان يدًا قدضربتْ كفَّ كلِّ مَن ضربَا
الملك : نفريتُ ثُرتِ على فنيـ ـس وما حفظتِ ولاءَهُ
وتَسيتِ خدمتَه بمصـ ـرَ وما ذكرتِ بلاءَهُ
الملكة : لا سيدى لا . نحّه أنا لا أطيقُ لقاءَهُ

[ثم مستمرة] :

ما بِك مولاىَ ما أثارَك ما أذكاك إنى أراك ملتهبا

قمبيز : أثارَنى منك أن كذبتِ وذا فانيسُ قدجاء يفضحُ الكذبا

[ثم مستمرا] :

هلمى الآن نفريتُ هلمى يا نتيتاسُ

بأىِّ اسميك ادعوكِ

الملكة : بهذا أو ذاكَ لا باسُ

فيا قمبيزُ لو دانَتْ لكَ الأيامُ والناسُ

فلنْ تستطيعَ أن تقهَـ ـرَ نفسًا حلَّها الياسُ

قمبيز : أنتِ مملوءةٌ من اليأسِ منى

الملكة : أجلِ اليأسُ منكَ مِلءُ ثيابِى

فليكن

الملك : إننى سألت سؤالًا لمْ إذن هبْتِنى وهِبْتِ جوابى

كيف أدعوكِ يا عروسُ؟

الملكة : بما شئـ ـتَ بثَرِّ الأسماءِ والألقابِ

بالذى أنتَ أهلُه من بَذاءِ والذى أنتَ أهلُه من سِبابِ

الملك : أنتِ لم تُذنبى بل الذنبُ ذَنْبِي
أنا قد شئتُ أن تكونى ركابى

الملكة : ليس ماشئتَ أو أتيتَ غريباً
قد تكونُ المَهَا ركابَ الذئاب

الملك : احْذَرِى أيُّها الفتاةُ إنْفجارِى

الملكة : انفجرْ مابِى انفجارُكَ مابِى

الملك : جئتِ ذنبا تُعَاقَبِينَ عليه كلُّ ذنبٍ رهينةٌ بالعقاب

الوصيفة [بصوت منخفض] :
اكظمِى الغيظَ يا أميرةُ

الملكة [وتشير الى قمبز] :
بل يخ رجُ من حُجرتى ومن محْرابِى

الملك [لقابيس والوصيفة] :
انظُرَا واسمعَا تُحاوِلُ أن أبْ رحَ قصرِى وأن أُفارِقَ بابِى

الوصيفة [للملكة بصوت منخفض] :
راجعِى الحلمَ ملْكتِى سايريه لاطِفيه لِينِى له فى الخطاب
لاتهيجى به الجنون فيطغى إنه آدمٌ بظُفرٍ وناب

فانيس [همسا] :

أَحْسِنِي الرَّدَ ملْكتِي واحفظِينَا
إننا ها هنا ثلاثُ رقابِ

الملكة : خِفتَ فانيسُ من عذابِ نهارٍ
كيفَ عرَّضتَ أنفُسًا للعذابِ
عجبٌ من خرابِ عمرك تخشى
أنتَ من ساقَ أمةً للخرابِ

الملك : بنتُ مَنْ أنتِ يا نتيتاسُ

الملكة : بنتُ الـ ـشمس بنتُ العواهلِ الأربابِ
والِدِى فى السماءِ فهو إلهٌ

الملك : فلماذا مَرَّغْتِيه فى الترابِ
قد نبذتِ اسمَكِ الذى كان سَمًّا
لكِ وجُبْتِ البلادَ باسمٍ كذابِ

[ثم مستمرا] : نتيتاسُ تمَرَّدْتِى فما أبقيْتِ لى صبرا
وكتمْتِك فى الذنبِ فما أبديْتِ لى عُذرا
وما أجرأَ ما كنتِ على شتمِى ما أجرا

فما غَرَّكِ بالبَأْسِ وبالسلطانِ ما غَرَّا

الوصيفة [بصوت منخفض] :

خُذى فى اللِّينِ مولاتِى خُذى سيدتى الحذرَا

فانيس [همسا] :

فقد تأخذُه النوبـ ـةُ حتى يَحْرُقَ القصرَا

قمبيز : دَعِى العزةَ بالجنس نتيتاسُ دَعِى الكبرَا

ولا تُلقِى على إحسا نِى النسيانَ والكُفرَا

أما أحببتُكِ الحُب الـ ـذى أنتِ به أدْرَى

وفضَّلتُكِ فى القصرِ على البيضاءِ والسمرَا

وقدَّمتكِ فى الأزوا ج قبلَ الأختِ من كسرَى

الملكة : لقد كنتَ وراءَ الحُـ ـبِّ تُخفِى النَّاب والظفرَا

وما أفرحنى أنى تقدَّمتُ على الأسرَى

ولا أنكَ ترْعانِى وتنْسَى النعجةَ الأخرَى

الملك : ملكةَ الفرسِ أمِس

الملكة : واليوم

الملك : كلا لستِ أهلًا لصحبةِ المالكينَا

الملكة: أنا بنتُ الملوك أصلُح للمُلْ ـك جدودى تملّكُوا العالمينا

الملك: قد خُدعتُ الشهورَ يا بنَةَ فرعو
نَ ولولا فانس خدعتُ السّنينا

فانيس [لنفسه]:
أحمَدُ الله قد نجوتُ برأسى وأمنْتُ المُهوَّسَ المجنونا

الملكة: ليس فانيسُ للأمانة أهلاً إن من خانَ لم يخفْ أن يخُونا

الملك: سَترَين العقابَ

الملكة: إنى تأهّبْـ ـتُ فهات العذابَ هات المَنُونا

الملك: لا. فها هنا العقابُ ولكن

الملكة: أينَ ؟

الملك: فى حيثُ شئتُ لمْ تسألينا
مصرُ أولى بأن أحاسبَ فيها وأحلّ العقابَ بالخادعينا
فى غد تدخلينَ مصرَ مع الجيـ ـش

الملكة: أنا ؟ لا أرافقُ الغاصبينا

الملك: بل تسيرينَ تحت راية فانيـ ـس
وما تصحبينَ إلا أمينا

الملكة : سيدى

الوصيفة : ملكتى دعى العُنف

الملك : ماذا ؟

الملكة : كيف لقّبتَ بالأمين الخؤونا

فانيس [همسا] :

صانعى أيُّها الأميرة

الملكة : دعْنى

فانيس : اهْدَئى حاسنى عسى أن يلينا

الوصيفة : ملكتى قال سيدى الملكُ الحقّ

الملكة : صَه أنت يا تتا تكذبينا

فانيس : سترينَ النعيمَ تحتَ لوائى

الملكة : بل أرى البؤسَ تحته والهُونا

الملك : وكأن الوجهين بانا من الوا دى

وزالا سهولةً وحُزونا

أرسلُ السيلَ تارةً وأجيلُ السـ ـيفَ آناً وأشعلُ النارَ حينا

الملكة: عُدْ إلى الرُّشد ما جئت مصرُ يا قمـ
ـبيزُ ما ذنبُ أهلها الآمنينَا

[ثم مستعبرة]:

أميرَ الفُرس قلنا كلَّ شيء
ولم نَقُل الحقيقةَ والصوابَا

الملك: أعندكِ منهما شيءٌ؟

الملكة: ولم لا

الملك: إذَنْ قوليهما وزِنِي الخطابَا
ذكرتِ الحربَ هل تخشينَ منها

الملكة: ولم لا وهي أجدرُ أن تُهابَا

الملك: ولكنا ملوكَ الفرس نغشَى مخاوفَها ونجعلُها لعابَا
أراكِ هدأتِ ناتيتاسُ روعًا

فانيس: وكان الرُّشدُ فارقَها فشابَا

الملكة: ذكرتَ مليكَ فارسَ حربَ مصرٍ وأنسيتَ العوائقَ والصِّعابَا

سيَطْوى الجيشُ نحوَ حياضِ مصرٍ
بحارَ الملحِ واللجَجَ العذابا

وأغْبَى الناسِ منشمِرٌ لحربٍ توقَّعَ أن يُصيبَ ولا يُصابا
ودونَ النيل

الملك : ماذا دونَ مصرٍ؟

الملكة : يُحوبُ الجيشُ صحراء يَبابا

ترى تيهًا تَجُرُّ الخيلُ فيه قوائمَها وتنسحبُ انسحابا
يَضِلُّ الجيشُ هديتَه عليه ويُظمئُه ويوردُه السَّرابا
ترى جَلَدَ الجمالِ عليه يَفنَى وتحسبُها من اللَّهَثِ الكلابا

الملك : لا تُراعى فما على الجيش بأسٌ كلُّ شيءٍ على الحدود تهيَّا
قد وجدنا الحرارَ فى مصرَ والما ءَ ولم نَعدمِ الرجالَ الشُّقيَّا
فانيس : واشترينا الخفيرَ بالمالِ والحا رسَ والحامىَ الأمينَ القويَّا

الملكة [لفانيس] :

كلُّ هذا فعلتَه أنتَ يا نَذ لُ

فانيس : أجلْ ما أتيتُ أمرًا فريًّا

إن قمبيزَ بى حنقٌ وفرعـو نُ أمازيسُ لم يكن بى حَفِيًّا

الملكة : وابنُـه ماجنَى عليك ومصرٌ؟

فانيس :

جَنيَا الطـردَ والجحودَ عليَّـا

أنا كالسـيف لم يَصُنِّى كَمِىٌّ قد رمانى فاعتضتُ عنه كمِيًّا

الملكة : وجحدتَ الذى طعِمتَ من النعـ ـمةِ

فانيس :

لا . ماطعمتُ من ذاك شيًّا

كنت كالسيف كلما كافؤنى جعلوا السُّمَّ لى طعامًا وريًّا

الملكة [إلى قمبيز] :

وهبكَ بلغتَ يامولاىَ مصرًا

الملك :

وماذا عندَ مصرَ

الملكة :

تجىءُ غابَا

ترى أُسـدَ القتالِ عليه شَتَّى تقـلَّدتِ الصـوارمَ والحرابَا

وثَمَّ ترى الفَيـالِقَ من رُماةٍ تكادُ قسِيُّهـم تَرِدُ السـحابَا

إذا نظـروا عـلى زادٍ غرابًا أصـابُوا بينَ عينَيْهِ الغـرابَا

الملك [يبتسم مستهزئا] :

رُماةٌ ؟

[ثم الى فانيس والوصيفة] :

حدثوها كيف أرمى
وكيف أصيبُ فى السُّحُبِ العُقابا

الملكة : أأنتَ بجمعهم تُقتاسُ كسرَى
وأنتَ المـوتُ حيثُ رَمَى أصابا

الملك : إذَنْ ماذا ؟

الملكة : أخافُ عليك جيشًا
كمركومِ الحصى يُخْطى الحسابا
وأخشى أن يقولَ الناسُ زوجى
غداةَ ذهابِه نسِىَ الإيابا

الملك [لفانيس] :

فانيسُ صَفِّق و ناد يا معشرَ القُوّاد

[يدخل الحرّاس والقوّاد]

قمبيز [للقائد ميجا صاحب الأخبار] :

ميجا تعالَ

ميجا : لبَّيْكَ ربِّى لك التحيات والسجودُ

الملك [للملكة] :

يا ملكةَ الفرسِ ذاكَ ميجا يعلمُ ما يحشُدُ الوجودُ
خريطةُ الأرضِ فى يديه السفنُ والخيلُ والجنودُ

الملك [لميجا] : ميجا تكلَّم ما حالُ مصرِ ما الجيشُ فى مصرَ ما الحدود

الملكة : هاتِ ميجا قل تكلَّم

ميجا [فى اضطراب] : ملكتى

الملكة : ما الذى تدرى عن الجيش المجيدْ

ميجا : جيشُ مولاتى كالعهدِ به كاملُ العُدَّاةِ موفورُ العديدْ

الملك [فى غضب] :

هاتِ ما عندكَ من أخبارِه
واخْشَ أن تنقُص واحْذَرْ أن تزيدْ

ميجا [مضطربا] :

يا إلهَ الفرسِ لا تبرَحْ فمى
وأعِنّى . كيف أبدى وأعيد

[ثم للملكة] :

إن وردَ السلم من كسرتِه نسيتْ أظفارَها فيه الأسود

واختلافُ الجُندِ فيما بَيْنَهُمْ أخذَ البأسَ وإن أبقى الحديد

أصبح الجيش

[ويسكت قليلا]

الملك [لميجا] : تكلَّم

الملكة : قل أَبِنْ

ميجا : كالقطيع اختلفتْ فيه الجلود

حُشِرَ اليونانُ فى رايتِه وتراغى الزنج واندسَّ العبيد

وغَدا كلُّ طريدٍ لم يجدْ سببَ الرزقِ أتى الجيشَ يصيد

الملكة [لنفسها] : والخيلُ يا ميجا هناك ؟

ميجا : قليلةٌ فى جيشِ مصرَ قليلةُ الفرسانِ

الملكة : أسفًا على الفتيانِ أينَ حماسُهم قتلَ النعيمُ حميَّةَ الفتيانِ

الملك [ملتفتا الى ميجا] :

مليكةُ الفرس ميجا قد اكتفتْ ببيانك

نخذ مرازبةَ الفرس وامْضِ ميجا لشانِكْ

تنيناس : قمبيزُ ماشئت فاصنع إنى أراك مُصرًّا

تُغيرُ أنتَ وتغزو ويحفظ الله مصرَا

قمبيز : وفارسٌ يا بنةَ النبيـ ـل ما لفارس ذكرُ
نتيتاس : لا أيها الملكُ مالي فى غيرِ مهدِيَ فكرُ
قمبيز : نتيتاسُ اسمعى أنتِ تُسيئين إلى مصرَا
غدًا يهلِكُ أهلُوها ويُمسى تحتَهم قبرا
نتيتاس : وقاها منكَ آمونُ ولا استطعتَ لها ضَرّا
قمبيز : هذا التجنِّى كثيرٌ هذا لعمرى الغرورُ
لقد تحمَّلَ صدرى ما لا تُطيقُ الصُدورُ
[ثم مستمرا] : كفا عَبثًا بسلطانى وبأسى كفى ما كان ناتيتاسُ منكِ
غدًا يتحدثُ الرُكبانُ عنى ويروى الناسُ مايروون عنك

* * *

كذبتِ علىّ يا بنةَ أبرياسِ حذار حذارِ من بطشى وفتكى

* * *

أنا قمبيز بنُ كسرى أنا جبار الوجودِ
وأنا النارُ أصولِى وبنو النار جدودى
ويل فرعونَ ومصر من جنودى وبنودى

* * *

قمبيز [لنفسه] : رباهُ ويحى ويحَ لى رباهُ مالى لا أعى

رباهُ ناراهُ ما الذى أجدُ
كأنما النارُ فىّ تتقدُ

يا نارُ كونى لِى أو رمازُدُ كُنْ عونى

[ثم إلى تيتياس]: انتظرى البطش يا بنتَ فرعون

أنا قمبيز بنُ كسرى أنا وحشٌ أنا غولْ
لستُ بالعجل أبالى وعلى النار أبولْ

قمبيز [لنفسه]: قد رجع الصفيرُ لى يا ليته لم يرجع
ما بالُ عينى أظلمتْ ما بالُ ساقى جَمَدَتْ
أين الطبيبُ أزْدَشِرْ؟

[ويغشاه الصراع]

الملكة [بعد أن يأتى الطبيب]:

هذا الطبيبُ قد حَضَرْ

[يدخل الطبيب و يطلب نقله]

الملكة [تدنو منه فى حنو وعطف وتقول]:

يا ويحَ زوجى ويحَه هاجَ وعاده الصَرَعْ
يا نارُ كونى حوله أدرِكْهُ يا آمونُ رع

[يخرجون به]

فانيس : الآن نتيتاسُ تعالَىْ إلى الهُدَى
تعالَىْ إلى الرأى الصوابِ تعالِى
نتيتاسُ أنتِ اليومَ ملكةُ فارِس
بلغتِ الذُّرَا من سُؤْددٍ وجلالِ

الملكة : ولكن أبى فانيس.لاتنسَ ما أبى
وجَدِّى وأنى بنتُ أصيدَ عالِى

فانيس : ولكن ألم يخلعْ أباكِ أمازسٌ
ويفتِكْ به فى ثورةٍ وقتالِ
ويجلسْ على كرسىّ مصرَ مكانَه
ويخلُفُه فى جاهِ أفادَ ومالِ

الملكة : أجلْ قد خُلِعنَا مُلكَنَا وتصرَّفَتْ
بنا سوقةٌ من جُندنا وموالِى

فانيس : إذَنْ فدعى قمبيزَ يثأر لزوجه
ويضربْ بيُمْنَى أو يُصبْ بشمال

دعيه يعاقب سارقَ التاج مثلما
يُعاقَبُ فى منفيسَ لَصُّ لآلِى

الملكة : تأمّلْ وحقِّق من تخاطبُ يافتَى

فانيس : أخاطِبُ عقلاً من وراء جَمالِ
لقد قلتُ قولاً ليسَ يأباهُ عاقِلُ
فلا تنظرينى واسمعى لمقالِى

الملكة : ولكن أمامِى صورةٌ من خيانةٍ

فانيس : وما لَكِ يا بنتَ الملوكِ ومالِى

الملكة : وأنتِ تِتَا ماذا ترَيْنَ ؟

الوصيفة : خيانةً وأطماعَ قُوَّادٍ ولؤمَ رجال

الملكة : فديتُك من مصريّةٍ

الوصيفة : بل أنا الفِدَى لسيدتى من قدوةٍ ومثالِ

الملكة [لفانيس] :
أتسمعُ كلبَ الصيد؟

فانيس : حمقاءُ غرَّةٌ وما لىَ أُلقِى للحماقةِ بالِى

الملكة : عمّى لك يا فانيس وامشِ بلا عصا
ودون دليلٍ فى رءوس جبالِ

فانيس : لكَ الشكرُ مولاتى

الملكة : لكَ الويلُ من فتًى فإنكَ من معْنَى المروءة خالى
أُوطِئُ خيلَ الفرسِ مهدى ومَلعبى
وتربةَ آبائى ومنزلَ آلى
وأشعِلُ نارَ الفُرسِ فى أيكةِ الصّبا
وما بوّأتْنى من رُبًى وظِلالِ
وأغمدُ سيفَ الفُرسِ فى صدرِ أمةٍ
نَمَتْنى وتَنْمى أُسْرتى وعيالى
إذَنْ لا أوَى جَدّى السماء ولا أبى
ولا جَلَّ عَمّى أو تبارَكَ خالى
وأفضلُ منى كلُّ ذاتِ مُلاءةٍ
وراء حُقولٍ أو وراءَ تلالِ
تَهُشُّ على شاةٍ وتحمِلُ جَرّةً
وتَمْشى على الوادى بغيرِ نِعال

[يدخل قمبيز ثم الحاجب و يقول] :

إله الفُرس

الملك : ماذا ؟

الحاجب : ثَمَّ رُسْلٌ أتَوْ مِن مِصرَ بالنبأ العظيم

الملك : وما يقولون ؟

الحاجب : يقـو لـون أمازيسُ هَـلَكْ

الملك : ثُمَّ ؟

الحاجب : يقولون ٱبْنُـهُ بسـاميتك قـد مَـلَك

الملكة [لنفسها] :

مِصـرُ ... ... رُسْـلٌ ؟ ليتَ شـعرى ما الخـبَرْ

وطَنِي يا رَبِّ لا مُسَّ بشَرْ

قمبيز الملك [ملتفتا بالملكة والوصيفة] :

يا مَلْكَةَ الفُـرسِ أصْغِي ويا تِيتَا هـل سمعـتِ

قـد ماتَ فرعونُ مصرِ

الملكة والوصيفة [بصوت واحد] :

تعيشُ مِصـرُ وتَبْـقَى

« ســتار »

الفصل الثالث

المنظر الأول

«الأميرة نفريت على ضفاف النيل تشكو إليه وتنتحر بأن تلقى بنفسها فيه»

ويحى لقد أودَتْ بىَ الأنانيَه
عِشتُ فما أحبَبْتُ إلا ذاتيَه
ولا افتكرتُ بسوَى لذَّاتيَه
حتى قَذفتُ وطنى فى الهاويه
النيل . النيلُ يجنبى هاهيَه
أمواجُه تَهتِفُ بى مناديه

* * *

يا نيلُ يا قِوام كلِّ شئ
ومانحَ الحياةِ كلَّ حىّ
هىّ اغسلِ الذنبَ العظيم هىّ

ثم تلقى نفسها

المنظر الثانى

فى منفيس

« جماعة من المصريين والمصريات يتحادثون ويتذاكرون »
« بغى قمبيز وجنوده وبعض ما أصاب الناس من المصائب »
« من جراء الفتح الفارسى — فى ساحة من ساحات منفيس »

أحد الرجال [لزميل له] :

تعالى يا (باطا) قل لى بالله
كيف ترى الحُكَمَا كيف ترى الظُّلما

باطا : أصِخْ أصِخْ يا دادْ اسمع وكن عونى
قمبيز فى الظلم يألف فرعون

[ثم لحجار]: وأنت يا هجارْ ماذا تقولينا

هجار : آمونُ ذو المَنِّ يبُقى الفراعينا
الفُرسُ فى مِصرَ طغيانُهم قد زادْ
هُمْ صلبوا التمساحْ على ضِفاف الوادْ
وكلَّفوا العصفورْ يمشى مع الصيّاد

[تقبل امرأة مصرية عجوز]

فيقول أحدهم: وهذه دوباره

آخر : الشيخةُ الثرثاره

الأول : هلمّي يا دوبارا هاتِ اذكرى الأخبارا

دوباره : لا تسألونى ما الخبرَ مِصرُ ترى اليومَ العبرَ

لكن صَهِ حذارِ لا يدرينّ دارِى

* * *

عارضَنى الساعةَ فى طريق

فتًى مليحُ الحسنِ والبريقِ

يسألها سائل: مِن الجنود؟

العجوز : لا ! من القوادِ

عالى المكان ظاهرُ الميلاد

آخر : وما أتى ما فعلا؟

العجوز : عانقنِي وقبّلا

الأول : وأينَ؟ فوق فمِك الدُّرى

آخر : أو مِن على جبينك البدرى

* * *

آخر : أو فوق خدٍّ مثلِ روثِ البغلِ

الأول : أو فوق ذقنٍ مثل كعب النعل

* * *

المجوز : أهذه نجدتكم يا فتيه
أهكذا تحمى بمصر النسوه

* * *

يا أسفا على القرون الخاليه
يا أسفا على النفوس العاليه

[وتنصرف مغضبة مهرولة]

أحدهم [ويرى شخصا مقبلا] :
هذا أها، من أين جئـ ـتَ ؟

ثانى : كيف أنتَ يا أها ؟

أها : من ضيعتى

الأول : وكيف هى ؟

أها : قد لقيتْ ما ساءها

* * *

إوزّى كلّه طاحَ وبطّى كلّه طارا
وأختى خُطفت منى وزوجى جُلّتْ عارا

* * *

الجماعة : إذن لقد آن أن نثورَ نطردُ قمبيزَ والجنودا
الغابُ فى شقوةٍ وبؤسٍ فما الذى يُمسك الأسودا

* * *

أحد الجماعة : خذوا حِذركم أقبل الطاغيَة مع الوزراء وفى الحاشيَه
وذا السيفُ فى يدِ جلّادِه يُسَلُّ على الأَرْؤس العاليَه

* * *

آخر : تلك مصائبَ وقَدْ صُبَّتْ على هذا البلَدْ
امضُوا بِنَا امضوا بِنا ليَسمَعَنَا أحَدْ

« ينصرف المصريون و يدخل قمبيز فى وزرائه وقوّاده »

« ثم يقبل جنود يسوقون أسرى من النوب ... »

قمبيز : ماذا يَسُوقُ الجنودُ مِنَ الوجوهُ السودُ؟
هذى عفاريتُ

وزير : لا . بل مولاى هذى قرودُ

قمبيز : لكنّهم حيثُ دارتْ رَحَى القتال أُسودُ
بلَوْتُهم فى القتالِ لما حَوَتْنَا الحدودُ

قائد : النوبُ جُندُ بِسَامَا

قائد آخر: بل هم أشَدُّ جنوده

وأثبتُ الجيشِ يومَ الـ ـقتالِ تحتَ بنودِه

قمبيز : يا جُنْدُ حلوا عن الأسرى وثاقهمُ
خَلُّوا عن السُّودِ قد أعتقتُ أقرانى
ويا بنى النُّوبِ مُلْكى لن يضيقَ بكم
من شاءَ فليبقَ فى مُلْكى وسلطانى
والجيشُ داركُمُ إن كان يُعْجِبُكُمُ
أن تَلْحَقوا بمُشاتِى أو بفُرْسانى

الأسرى النوب :

يا بنِى النـوب هَـلُمّ رقصةَ الحربِ لكسرَى
سـيِّدُ الأرضِ عَفَـا عـنّـا فمـا نحنُ بأسرَى

« ثم يفك وثاقهم فيرقصون رقصة الحرب وينشدون »

النّـوبُ جيـلْ ، حُـرٌّ أصيـلْ ، يقضِى الديـونْ
نحنُ الأسـودْ ، حُمْـر الجلودْ ، حُمْـر العيـونْ
لنـا لِبَـدْ ، من الـزَّرَدْ ، هى الحصـونْ
نغشَى القتـالْ ، ولا نُبَـالْ ، طعمَ المنـونْ

* * *

نحن شعوبٌ وشِيعْ وراءَ أسـوانَ نَقَـعْ

عروسُنا من الجريدْ تيجانُنا من الوَدَعْ

* * *

نحن قبيلَ الشُّلُكِ فى العنجريبِ نَتَّكِى

والصيدَ نَهْوَى والقَنَص ونَطَّلِى بالوَدَكِ

* * *

للحربِ نمشِى الهرولَه نبعثُ فيها الجلجلَه

ممزوجةً بالولولَه

[وبعد الفروغ من الرقص يقبل عليهم قمبيز ويقول] :

قمبيز : زِه يا جُنودْ زِه يا أسودْ

[كبير النوب لخازن الملك] :

زِه زِه هاتِ النقودْ

[يدفع الخازن اليهم مالا فيأخذونه وينصرفون]

[يترآى فرسان ثلاثة] :

قمبيز : مَنِ الغُبار ؟

وزير : رُسُلُ

قمبيز : ما ذا إلينا حَمَلُوا

قائد : ها هُمُ قد تَرَجَّلُوا

[يقف الفرسان بحضرة الملك]

قمبيز : ماذا وراء الرُّسُلِ
أحدهم : الدعوات للملك
قمبيز : ماذا لديكم ما الخبرْ؟
أحدهم : حوادثٌ ذاتُ خطرْ
قمبيز : حوادث؟ قل أخا الهيجا تكلَّم
الرسول : بسامَتِيكُ يا مولاىَ خانا
الوزير الأكبر : بسامتيك خان ؟
الرسول : أجل أميرى
قمبيز : وكيف؟ وما أتى؟
الرسول : نَقَضَ الأمانا
قمبيز : وما برهانُكم
الرسول : كُتُبٌ ورُسْل يُثيرُ بها القُرَى آناً فآنا
قمبيز : وهل وجدتْ دعايتُه سميعا وهل حلّتْ من الوادى مكانا
الرسول : أجابت دعوةَ المخلوعِ مُدنٌ ومدنَ ما جعلنَ لذاكَ شانا
قمبيز : وأين فرعونُ بَسْمَا
الرسول : فى منف يغدو ويروح

حُرٌّ كما شئتَ له بين القصور والصُّروح
من معبدٍ لمعبدٍ ومن ضريحٍ لضريح
وحولَه كهَّانُ منـ ـفيس يحُرُّونَ المسُوح
وكلُّهم مُشيرُه
الوزير الأكبر : بئسَ المُشيرُ والنَّصوحْ
آخر : من لم يكن كاهنًا فى مِصرَ أو ملِكًا
ولا تراه لهذا أو لذَا تبَعَا
فلا تقيسَنَّ فى هذى البلاد به
إلَّا المواشىَ والأحجارَ والسِّلَعَا
قمبيز : وزرائى ودَهَاقِينِى انظروا انظروا ذلك فرعون «بسْمَا»
الوزير الأكبر :
يدفعُ القوَّادُ والجندُ به وهو فى القيدِ يَجُرُّ الأدْهَمَا
قائد : كادَ فرعونُ من استكباره أنْفُهُ يدفَعُ فى أنف السما
[فرعون يقف بين يدى قمبيز فى عظمة و إباء واستكبار]
قمبيز : بسامتيك
فرعون : قمبيز
قمبيز : أتدعو باسمه المَلِكا

فرعون : غداً تَفقِدُكَ الفُرسُ ويخلُو عرشُها منكا
ومُلكٌ قد مضَى عنّى سيمضى فى غدٍ عنكا

[قمبيز يدخل فى الغضب شيئا فشيئا] :

قمبيز : وهذا الفتح يا فرعو ن ؟

فرعون : عدوان وإجـرامُ
أما عنـدَك يا قمبيـ نُ للنكبةِ إكرام

* * *

قمبيز : عفوتُ عنكَ أمس يا بسَاما فلم تَرْعَ الوفاَ
فرعون : يا عجبَا يا عجبَا عبدٌ عن الربّ عفَا
قمبيز [هائجا] : خـذُوه بالخناجِر سُلُّوا لسانَ الفاجِر

فرعون [فى عظمة وصبر وثبات] :

هاتوا سيوفَ الفُرس هاتُوا القَنا
هاتوا المُدَى هاتوا حبَالَ الحديدْ
لا تَحْسَبُونى بشرًا بائدًا فرعونُ حىٌّ خالدٌ لا يبيدْ
قمبيز : إذن خذوه بعيـدًا صُبُّوا عليـه الحـديدَا

« يأخذه الجند ويخرجون به »

[يدنو وزير شيخ من قمبز ويقول له] :

القائد : مولاىَ تلك غضبةُ المقهورِ ونزوةُ الضرغامةِ المأسورِ
مولاىَ بالنارِ بقُدس النورِ اغفر لهذا الصارِم المكسور
فإنه ضحيـــةُ الأمـــور

قمبيز [صائحا بالجند وهم ذاهبون بفرعون بسما] :

إذن رُدّوا الأسيرَ إلى رُدّوا فإنّا ما انتهينا منه بعد

« يرجع الجند بفرعون و يقفونه أمام قمبز »

قمبيز : تعال فرعون بسما تعالَ منى ناحيه
لقد عفوتُ مرةً وقد تكونُ الثانيه
فرعون : لا مرحبًا أمس ولا ال يومِ بعفوِ الطاغيه
قمبيز : تأمل هلْ لبستَ اليومَ ذلًا وكنتَ تجرّ أمس الذيلَ تيها
فرعون : كذا الدنيا تُغيّرُ ابنَ كسرَى فخفّها إنها لا خيرَ فيها
وهبك قهرتنى أقهرتَ مصرًا

قمبيز : أجلْ ووضعتُ سيفى فى بنيها

وبعدَ غدٍ أطوّقها بنارٍ تطوفُ على البلادِ وما يليها
وتجعل من هياكلها رَمادًا وتُنزلُ فى الأزقةِ مُترَفيها
وتدعَكُ فى ترابِ الذل أنفا
يطولُ على النجومِ ويزدريها

فرعون: رويدَك يابنَ كِسرَى قف تمهّل
فعادةُ مصرَ تقهرُ قاهريها

قمبيز: رويدَك أنت يا فرعونُ إنى
إذا حطّمتُ مصرَ فمن يَقيها

* * *

أليستْ فارسٌ والأرضُ تحتى
وأمرى فى الجَنوبِ وفى الشمالِ
وقد غطّتْ فضاءَ الأرضِ خيلى
وهبتْ فى السهولِ وفى الجبالِ

فرعون: شمخت بخيلك يا فارسىُّ فماذا صنعتَ بخيلِ القدرْ
تأمّل مكانى وما حلّ بى ألم تتّعظ بى ألم تزدجرْ

قمبيز : ما أنت يا مخدوع

فرعون : فرعونُ بسما

قمبيز : بل أنت مأسورٌ عليك قيودُ

وغدًا ينوبُ عن القصورِ ورُحْبِها

سجنٌ يضيقُ ومنزلٌ مسدودُ

وتُدَسُّ فى الأجداثِ غيرِ محنّطٍ

يلهو بهيكلِك البِلى والدُودُ

فرعون : قمبيز

قمبيز : فرعون بسما صلِّ ابتهل

واهتف لعلَّ العجل عنك يذودُ

أنظر إلى أينَ انحططتَ

فرعون : كذبتْ لَمْ

ينحطَّ للشرفِ الرفيعِ عمودُ

إن الجواهرَ فى التراب جواهرٌ

والأسد فى قفص الحديد أسودُ

قمبيز : سنرى هلّموا يا جنودُ أسيرَكم
عودُوا به من حيثُ جئتُم عودوا

قمبيز [مستمرا] :

وأينَ نفريتُ ابنةُ الكذّابِ قد آن أن ينالها عقابي

الوزير الأكبر :

نفريتُ من مخافة الحسابِ ألقتْ بنفسها إلى العُبابِ
وذهبتْ

قمبيز [ويضحك ضحكة جنونية] :

لكن بلا إياب

[تحضر تيناس وتقول] :

تيناس : قمبيز ؟

قمبيز : تيتّاس ؟

تيناس : أجَلْ

قمبيز : وماذا أتى بكْ ؟

تيناس : أتيتُ أنقذُ قومي وموطني من عذابكْ

قمبيز : والزوجُ يا نتيتاسُ ؟

نتيتاس : وأنقِذُ الزوجَ أيضا

قمبيز [ساخرا] : ومِمَّ ؟

نتيتاس : من شدةِ البلاء وغضبِ الأرض والسماءِ

قمبيز [فى غضب] :

إذهبى يابنتَ فرعونَ إذهبى

اعزُبى يا حيَّةَ النيل اعزُبى

فانيس : تأخرى سيدتى لا تعرضى لغضبه

قمبيز : فانيسُ أنت ها هنا

فانيس : مولاىَ لى لم ينتبه

نتيتاس [متهكمة] : مولاكَ كم تخدعُهُ

نتيتاس [متهكمة] : مولاكَ كم تسخَرُ به

قمبيز [الى قواده] : أحقٌّ هو بى يهزأ

[ثم الى فانيس] : أحقٌّ أنتَ بى تَسخَرْ

وفى الأحلام تبدو لى وهذا الوجه لى يظهرْ

وقد يصفرُّ كالليمو ... نِ أو يحمرُّ كالبنجر

[ويهجم عليه بالخنجر]

فانيس : أميرى سيّدى ملكى

قمبيز [ويطعنه بالخنجر] : أغثْهُ أيها الخنْجَرْ

[ضجة فى صفوف المصريين]

أحدهم : قد هلك الواشى

آخر : قد هلك الخائنْ

كافاه قمبيز شرَّ المكافاةِ

فانيس [بعد أن يضربه قمبيز بالخنجر] :

آهِ من الخنجرِ ما أحرَّهُ ... آهِ من الحِمام ما أمرَّه

[لقمبيز] : قمبيزُ شاتْ يمينُكْ ... ولا أفاقَ جُنونُك

[لنفسه] : ويحى أرى عينى تَغيمُ وساعتى

تدنو وأشعرُ بانقطاعِ فؤادى

الذنبُ لِى أنا قد خرجتُ لفارسٍ

ومنحتُ مجنونًا هناك ودادى

فانيسُ أنت نشأت جُنديا فمُتْ
كالجند والق مصارعَ القـوّادِ
سيانِ حينَ تُحطُّ فى جوف الثرى
مـوتُ الفراش وموتةُ الجـلادِ
يا نفسُ لم أحمـلْ عليـكِ دَنيّـةً
لاقِي المنيّـةَ بالضـمير الهـادى
يونانُ تغفـرُ لى وآلهـتى بهـا
سَهِـرتْ عيونُهـم على أولادى
قدخُنتُ مِصرَ وخُنتُ ساداتى بها
لكننى ما خنتُ قـط بـلادى

أصوات [من جانب المصريين] :

فانيسُ لا عـلمَ لَهُ بمـا جَـرَى
قـد قتلـوا أولَاده وما درى

[تظاهر الجند بدفعون فتى فيقول قمبيز]

قمبيز : وهذا الفتى مَنْ ولِمْ سُقتموه إلىّ

جندى : فتًى فى النّواحى يَرُودْ

قمبيز : وما كان يأتى ؟

الجندى : يُثيرُ البلاد
ويُغْرِى القُرَى باغتيالِ الجُنودْ

قمبيز : تنحَّوْا به فاقطعوا رأسَه عساهُ لأمثالِها لا يعودْ

تيتاس [تسمع وهى مُتراجعة ضجة فتنظر فيستوقفها المنظر فتقول] :

ماذا رأيتُ وماذا؟ سمعتُ ؟ مَن يدفعونا
مَن ذا إلى النار ساقوا مَن أوْرَدُوا الأتونا
تاسُ؟ أجلْ هو تاسُ أتوْا به المجنونا
قَسَا الجنودُ عليه والجُنْدُ لا يرحمونَا

* * *

ما بالُه عرف الوفاء وكيف ثابَ إلى الرّشاد
ربّ . أأشفعُ فيه؟ لا . لا كيف أمنعُهُ الجهادْ
لا . لن تحولَ شفاعتى بين الضّحيةِ والبلادْ

* * *

هذه ميتةُ عِزٍّ امضِ تاسُ بسلامِ
قد صفحنا لك عن ذا كَ التَّجَنِّى والآثامِ
لا تمُتْ بالكاسِ والطّا سِ ولكن بالحُسَامِ
سرَّنى أنك تقضى للحِمَى حقَّ الزِّمامِ

وشفانى أنك الذّا ئدُ عن مِصرَ المحامى
زُلْ لتبقى كودادى مُتْ لتحيَ كغرامى

[ثم تتراجع وتقول] :

والآن إلى طيبة والصعيدْ لحشر الدُّعاة وحشْد الجُنود
وقهْرِ العدوّ وإرغامه وقَذْفِ المُغيرِ وراء الحدودْ

[وتخرج]

[يستجمع تاسو ويقول ، وكأنما سمع ما قالت نتيتاس] :

عفت نتيتاس فيا مرحبا بك اليوم يا موت من زائرِ

قمبيز [إلى وزرائه] :

ما الرأى يا وزرائى فإننى لستُ أدرى
ماذا بأبْنَاءِ مِصرٍ من اختيالٍ وكِبْرِ

قائد : نحن بنو الشيطان وهم بنو الإنسان
ثان : والناسُ من طينِ السِّكَكْ وهم سُلالةُ المَلَكْ
قمبيز : أبىٌّ لعمرىَ فرعونُ مِصرٍ ويُشبهُ قومُه فى إباه
سأَدْعَكُ فى التربْ أنافَهم وأُلصِقُ بالأرضِ تلك الجباه
قائد : سيّدى لا تُبد رِفقا وامض فى الأعناق دقّا

ثان : واهدِم الأبْراجَ هَدْمَا واحرق الأجْرانَ حَرْقَا
ثالث : ودَع الوادىَ قاعَا واحلق الشَّطَّيْنِ حَلْقَا

قائد رابع [عالى السن] :

سيدى بل تترفّق فهو بالقادر أليق

قمبيز [يضحك ضحكة جنونية] :

خُذُوا يا قادةَ الفُرْس أخاكُم إنّه جُنّا
قائد : أميرى خَرِفَ الشيخ فلُمْه أوْ لُمِ السِّنّا

قمبيز [يغمد خنجره فى القائد الشيخ و يقول] :

خُذْ طعنةً فيها الشِّفا تَصرفُ عنكَ الخَرَفا

القائد [وهو يتلقى الطعنة] :

يا ويحَه قد عادَه الجُنون بل أنا حين هجتُه المجنون

قمبيز : وأيْنَ معبودُهم أين هُو؟

قائد : هو العجلُ

ثانى : وهو الذى ألْهُوا

وزير : ثَوَى العجلُ فى حُجراتِ الجلالِ

قائد : وقد نعّمُوه وقد رفّهُوا

الثانى : وليس إلهًا ولكنّما على الشّعب كهّانُه موّهُوا

أحد القادمين [لزميل له] :

هُمْ يعبدُونَ العجلَ يا أزْدشِر

أزدشر : يالك من أحمق ثرثار

ونحن ؟

الأول : النَّارُ إلهٌ لنا

أزدشر : ما الفرقُ بينَ العجلِ والنَّارِ

الأول : أفيلسوفٌ أنتَ ؟

أزدشر : بل ملحد

الأول : أنت ؟ إذن عِشْ وامضِ بالعارِ

ما كانت النارُ بمحتاجةٍ إلى قليل الدِّينِ كفَّارِ

قمبيز : وأين هو العجل ؟

قائد : في قُبَّةٍ تليق لكسرى وآبائه

قمبيز [مغضبا مثيرا] :

أمسِكُوا الكلبَ خذُوه ، أدِّبُوه

ما أبِي العجلُ ، بل العجلُ أبوه

القائد : الويل لي جُنَّ

صديق له فى أذنه : ما جُنَّ إلَّا كَا

فأنتَ ساوَيْتَ بالعجلِ مولاكا

آخر له : أهكذا يا أحمقُ السلوكُ أهكذا يُخاطَبُ الملوكُ

[يؤتى بالعجل ، فيثور لرؤيته جنون قمبز]

قمبز : والآن ماذا رأيتُمْ وما الذى تُقتُونا

وما الذى نحنُ بالعجـ ـلِ يا تُرَى صانعونا

قائد : يَصُبُّ كسرَى عليه من البلاءِ فُنُونا

آخر : عَلَّقَهُ بين الأرض والسماءِ واتركهُ للغِرْبان والحِداءِ

آخر : إدْفِنْه فى الأرضِ حيًّا وهِلْ عليه التُّرابَا

الأول : إذبحْه ذَبْحَ الخَرُوفِ

الثانى : أخنُقْه خَنقَ الدَّجاجَة

آخر [يتهكم] : إصْلِبه فوقَ عمُودِ من هيكلِ المعبودِ

وزير : إحرقْهُ مولاىَ بالنارِ

قمبز : إخْسَأ فهذا أعظَمُ العارِ

ماذا يقولُ الناسُ عنا غدًا ألقوْا إلى النيرانِ بالفارِ

قد دنَّسُوها وهى معبودُهم من جُثّةِ العجلِ بأقذارِ

[ويظهر الغضب على قمبيز فيقول له قائل منهم] :

قائد : مولاىَ ما ذاك فارٌ بل ألفُ فارٍ وفارِ

آخر : يا سيّد الأرضِ أبشِرْ رأىُ الوزيرِ أصابَا

غدًا يقولونَ بمَنْفِيس تغدت النارُ بأبيس

قمبيز [مقتنعا ومقهقها] :

أجل غدًا يُقالُ فى الأخبارِ العِجْلُ قد باتَ طعامَ النّارِ

[ثم يقبل على أبيس ويخاطبه] :

إلهَ النيل لِمْ تغْضَبُ لِمْ تكْسرُ جفْنَيْكَا

تأمّلْ شَبَحَ الموتِ ألمْ يبدُ لعينيْكَا

وهذا خنجرى الماضى نفُذه بينَ قونيْكَا

[ويطعنه ثم يتراجع خطوة ويقول] :

إلهى ما تَرَى عينِى خيالاتٌ وأشباحُ

وقتْلَى قد غدوْا حولِى وقتلَى غيرُهم راحُوا

وجَرْحَى جذَبوا ثوْبى وجَرْحَى غيرُهم صاحُوا

وهذا خنجرى الماضى نفذه بين قرنيكا

هذى عواقبُ بغْيِ ... هذا القصاصُ المُتاحُ
لا بُدَّ من عدلِ يوم ... يرتَدُّ فيه السلاحُ

قائد : ويحَ لقمبيزِ

آخر : ويحَ له جُنَّا

الأول : مَن يُقتلُ اليومَ ... مَن الشَّقِي مِنَّا

قمبيز [مستمزا] :

هذا أخى يصيحُ بى ... وتلك أختى تَنتَحِبْ
وآخرٌ يسألُنى ... أينَ دَمِى ؟ أينَ ؟ أجِبْ

قائد آخر : هذا ضميرُه صَحَا ... هذا ضميرُه انتبَهْ
حتى رأى آثامَه ... ولم يكُن لها أبَهْ

آخر لنفسه : ثارَ به ضميرُه

[ثم لزميل له هما] :

وما الضميرُ حيدَرُ ؟

حيدر [للزميل] :

سريرةٌ تندَمُ أحـ ... ـيانًا وحينًا تزجُرُ
ويرجعُ الناسُ لها ... إلا امرؤٌ لا يشعُرُ

الأول [رستم لحيدر] :

وأينَ منزلُ الضمـ ـير ؟

حيدر :

موضِعٌ من الجسَدْ

أنظُرْ . هنا يا رستمُ ال قلبُ وها هنا الكبِدْ

[ويشير إلى أعلى الصدر وأسفله وإلى ما بينهما (المعدة)]

[ثم مستمرًا] :

وها هنا الضميرُ بيـ ـن القلب والكبِد قعدْ

رستم : هنا الدَّجاجُ والحمـ ـامُ ها هنا بلا عَددْ

حيدر : والبَطُّ أيضًا والأوَ زُّ والحمارُ والوتَدْ

وكلُّ ما تَسرِقُ أو تخطَفُ من هذا البلد

رستم : حيدرُ هل يُخترَعُ الـ ـضميرُ أو هل يُزدرَدْ

وهل له حوصلةٌ وهل له رِجلٌ ويَدْ

حيدر : يا أخي إنّ الضميرَ الـ ـنفسُ أو بيتُ الشُّعورْ

وهو فيلٌ في صدورٍ وهو فأرٌ في صدورْ

وجبالٌ من حديدٍ أو جبالٌ من حريرْ

وسعيدُ الناسِ من لم يَشْكُ من وخْزِ الضميرْ

قمبيز [يقوم هائجا وكأنما يفرّ من شبح شقيقه الذى قتله] :

ماذا بيَا ؟ ماذا بيَا هـذا شـقيق بُـرديا
هـذا شـقيق بـرديا وخنجـرى فى صـدره
جئتَ أخى تجـزِى أخا كَ عن قبيح غـدره

[ثم يزداد هياجا و يفرّ من شبح أخته التى قتلها] :

أتوسةُ أختى ألا تصفحين أتوسةُ زوجى ألا تغفرين

[ثم ينظر يمينا و يسارا وهو كالمجنون و يقول] :

آهٍ لِيَهْ آهٍ ليَهْ ما هـذه الزّبانيَـهْ
كَتِيبةٌ بموضـع وعسـكرٌ فى ناحيَـهْ
وأَرْؤُسٌ بوَهْـدةٍ وأرجـلٌ برابيَـهْ
كلٌّ يصيحُ رُدَّ رو حى رُدَّ لى دمائيَـهْ

قمبيز [مع الأشباح] :

وبلى من الماضى ومن أشباحه
هذى خيالاتُ الزمانِ الخالى
عجبُ العجائبِ ويحَ لى ماذا أرى
شبحَ . أجَلْ شَبحٌ وطَيفُ خيال

* * *

شبحٌ كالملكِ الوا ... قى لعينَىَّ يلوحْ
شبحٌ كالزنبقِ النا ... عمِ يغدو ويروحْ
ظهرَ الحسنُ عليه ... وسرى الطيبُ يفوحْ

* * *

تمثالُ نتيتاسَ حول مذاهبي ... أحببْ بنتيتاسَ والتمثالِ
ما باللهِ ألقى علىَّ سكينةً ... وأراحَ وجدانى وأنعمَ بالى
زوجاه نتيتاسُ ملكةَ فارسٍ
مالى حُرِمْتُ حنانَ قلبِك مالى
يا ليتنى لم أسمع الواشى ولم
أخرج حِيالَك من قديم ضَلالى
قد ساءَ حالى فى غيابِك فارجعِى
هيهاتَ بعدَكِ من يرقُّ لحالى
أأراك عندى والأمورُ رخيَّةٌ
وأراكِ عند شدائد الأهوال
بالله يا طيفَ الحبيبةِ قلْ لها ... خلَّفتُ قمبيزاً بأسوأ حال

صِفنى لها تعِسًا كما شاهدتنى
قد عادنى صَرعى وجَدَّ خَبالى
يا بنتَ مِصرَ ويا يتيمةَ تاجِها
عودى فداؤكِ دُولتى ورجالى

[ثم مستمرا] : طابَ وِردُ الحِمامِ يا نفسُ هَيَّا
خنجرى خنجرى إلىّ إليَّا

[ويطعن نفسه بالخنجر ويقع]

جماعة من الفرس :

يا فُرسُ يا قومَ كسرى النّازلينَ السّحابا
كسرى مضى للنارِ شُقُّوا عليه الثيابا
وحَطّمُوا فى ثَراهُ سيوفَكُم والحِرابا

[كبراء الفرس يتشاقون الثياب]

أحدهم لآخر :

هاتِ ثيابَكْ خُذ ثيابِى
تعالَ خُذ قميصى وأعطِنى قميصَكْ

[يمزق كلاهما قميص الآخر]

مصرى من الحاضرين [لآخر همسا] :

أنظر أخى الفُرس وما نابهُمْ ... شَقُّوا على المجنون أثوابَهمْ

الكهان [لجماعة المصريين] :

يأيها المرضَى اسجدُوا ... على دماءِ آبس

ويا أصحاء انهلُوا ... من دَمِهِ المقدَّس

بالشقاءِ جَسَدٍ ... فى دمِهِ لم يُغمَس

المصريون يتشاقون الثياب :

فارسى إلى آخر :

أنظُرْ إلى أبناءِ مصـ ... ـرَ فإنّ أمرَهمُ عُجابْ

أنظر ألستَ تراهُمُ ... شقُّوا على العجلِ الثيابْ

وزير فارسى [يخطب المصريين] :

أيها الكُهّان من شَتَّى الرُّتَبْ

عَظُمَ الخَطْبُ فما تُغْنِى الخُطَبْ

إن كسرى تغفرُ النارُ له

كان فى مَصرع أبيس السَّبَبْ

أيّها الشَّعبُ

مصرى لرفاقه : أميلوا إسمعُوا

كيف يُنْشِى المستبدّونَ الخُطَبْ

الوزير [مستمرا] :

قد أتى قمبيزُ كسرَى ما أتَى

وهو مدفوعٌ بسلطانِ الغَضَبْ

مصرى [لأخيه بصوت منخفض] :

ليتَه بالَ على نيرانِكم بَوْلَةً تُطفِى لظَاهَا واللَّهَبْ

الخطيب الوزير :

نحن لا نُسألُ عن فَعْلتِه

قد جنَى الرأسُ فما ذَنْبُ الذَّنَبْ

أيّها الكُهّانُ قد حلّ على ربِّكم أبيسَ مقدورٌ غَلَبْ

[ثم ملتفتا بالشعب قائلا] :

مالى أرى من جانبِ الشَّعْبِ

بوادرَ الفتنةَ والشغبِ

فائد فارسى : ما أغضَبَ الشّاة من الجزّارِ

حذارِ حلمَ فارسٍ حَذارِ

لا تقفُوا لسيْفِها والنّارِ

[تتفرق الجماعة هنا وهناك ويقف جماعة من المصريين فيقول أحدهم]

أحدهم [لزميل له] :

ماذا جَرَى ؟

زميله : أما تَرَى؟ على الثَّرَى هذا الدَّمَا

آخر : آبِسْ عُقِرْ آبِسْ نُحِرْ سَاءَ الخَبَرْ ما أشأَمَا

الثانى : حَامِى الحِمَى ما أسْتَسْلَمَا لكن سَمَا إلى السَّمَا

آخر : لقد وهمتَ يا أخِى أَفِقْ وراجِعِ الرَّشَدْ

أبِيسُ فارق الوَتَدْ وسارَ رحلةَ الأبَدْ

الأول : العَمَى يا أخِى العَمَى اتركِ الأرضَ والدَّمَا

وتأمَّلْ معى السَّمَا اتَّخِذَ الجَوَ سُلَّمَا

هو هذا تَبَسَّمَا وعلى الجَمْعِ سَلَّمَا

وإلى الخُلْدِ قد سَمَا

الثانى : عجيبٌ شأن أبيس لأبيس جناحانِ

وهذا الرِّيشُ من دُرّ وياقُوتٍ ومَرجانِ

وهذا هو يَرعَاكَ بعينيه ويَرْعانِى

آخر [لزميلين له] :

أنظر «أنى» أسمع «فُتَا» أبيسُ بالفُرس سَخَر
جَنَّنَ قمبيزَ ولَمْ يَزَلْ به حتى انتَحَرْ

شيوخ الكهان :

بُورِكْتَ يا أبيسْ يا صاحبَ المجْدِ
يا موضعَ التَّقديسْ ومنزلَ الحمْدِ
سِرُّكَ فى منفيسْ وأنتَ فى الخُلْدِ

شبان الكهان :

أبيسُ سِرْ للسماء وانزل مع الخالدينْ
وخَلِّ تلكَ الدِّماء تُحاسِب المعتدينْ
أنتَ سماءُ الجلال حِمَى الديارِ الأمينْ
القَرْنُ كالشمسِ طالْ وعَزَّ فى العالمينْ
يا صورَةً من فُتاحْ ومن سناه المُبينْ
هذا شعاعُ الصباحْ أمْ غُرَّةٌ فى الجبينْ

« ختام »

نظرات تحليلية فى الرواية

١ — تمهيـــد

قصد «المؤلف» إلى أن يقيم دعائم الرواية على المعنى السامى الذى ينتهى إليه شرف الإنسانية. وهو التطوع بالنفس إجابة لداعى الوطن فى ساعة العسرة. ولقد تراءت فى رواية «قمبيز» فكرة الفداء والتضحية بالنفس من أجل الوطن، وفى سبيل وقايته وسلامته. فمهما تنوعت حوادث «الرواية» واشتبكت مواقفها، وراعت مشاهدها فلست مستبقيا فى قرارة نفسك إلا إعجابا بالغا «بنتيتاس» تلك الفتاة الأميرة المصرية التى اختارها «المؤلف» رمزا للتضحية وصورة للفداء من أجل الوطن وذكرى الجدود ومهوى الأفئدة.

ولقد وفق «المؤلف» توفيقا كبيرا لأن يصور جوانب تلك النفس العالية، وأن يصبغها بالألوان التى تصبغ النفوس البشرية من غضب، وحقد، وهياج، وسكون، ورضا، وسخط، وحب، ووفاء، غير أنه استطاع إلى جانب ذلك أن يجعل فيها لون التضحية بالنفس والجود بها أسطع لون، وأبهر منظر. واستطاع أيضا أن

يشتق من تلك الفضيلة — فضيلة التضحية — جميع الخلال الكريمة من ود وتعطف وبر ورحمة . ثم أبان كيف يمتزج معنى الفداء بالنفس فتعظم النفس وتستحصد وتتغلب على جميع الهنات والنقائص البشرية .

وإنى لزعيم بأن كل مطالع لتلك « الرواية » سيرى أن قد اجتمع فيها : الحكاية ، وحسن الأداء ، وسمو المغزى . وسيرى أيضا أنها أشبه « بمرشح » تلتق لديه ينابيع الحياة . ثم تروق وتنجلى عن الحكمة الصافية ، والعظة البالغة وبينهما فضيلة إفناء النفس لحياة الوطن وتلك أسمى فضائل الوجود .

وإنى لزعيم أيضا بأن المتتبع للرواية إذ يخلص إلى نهايتها سيتردد فى تسميتها ! ! أيسميها رواية (قمبيز) أم رواية الضحية المصرية لإنقاذ الوطن المصرى ! !

٢ — لمحة تاريخية فى عصر الرواية

فى سنة ٥٦٩ قبل الميلاد كان يحكم مصر الأسرة السادسة والعشرون وكانت عاصمة الملك (منفيس) ومقر البلاط (صا الحجر)

وكان على العرش حين تبدأ أحداث الرواية (أبرياس) وكان ملكا قد اشتهر بالضعف السياسى فى الداخل والخارج . فما هو إلا أن أتيحت فرصة لبعض قواده واسمه (أمازيس) حتى نادى بنفسه ملكا على مصر فى أثناء ثورة عسكرية فى (ليبيا) وعاد بعد ذلك إلى مقر الملك فأنزل (أبرياس) عن عرشه وقتله ثم استوى هو على عرش مصر .

وكانت سياسته ترمى إلى الاستكثار من العناصر الأجنبية يحشرهم فى صفوف الجيش ويتخذهم عدة لنفسه وبخاصة طائفة الأغريق الذين اصطفاهم ليكونوا عونا له فى صد غزوات الفرس عن مصر .

ولقد بالغ (أمازيس) فى اصطناع الأغريق ، وأوسع لهم فى جنبات الوادى ، وأقطعهم مدينة (نقراتس) فى الدلتا . فاصطبغت بالصبغة الأغريقية واستبحر عمرانها ، وراجت أسواقها التجارية ، وكان ذلك موثقا ومدعما ما بين (أمازيس) وبين الأغريق غير أن تلك السياسة قد ألبت عليه المصريين الذين رأوا سيل الغرباء

يتدفق على بلادهم ويتسرب إلى نواحى الحياة الاجتماعية والعمرانية والسياسية ، وفوق هـذا فقد صار جيش البلاد أوشابا وأخلاطا من زمر الشعوب ليس له بأس ولا لديه حمية . ولم يبق للمصريين أنفسهم مقـام فى صفوف الجيش فانصرفوا عن الجندية وشغلوا بالنعيم والترف والبذخ وامحت منهم روح البسالة التى كانت شعار الجندى المصرى .

* * *

فى ذلك العصر كان (قمبيز) ملكا على فارس وكانت عاصمته (سوس) وكان محبـا للغزو والفتح وكان لا يزال يطمح فى غزو مصر ويتربص بهـا الدوائر ليجعلها قاعدة حربية فى غزو بلاد الغرب ولا سيما (قرطاجنه) التى اشتمل نفوذها سـواحل البحر الأبيض المتوسط .

* * *

وتروى الأخبار هنا أنه قد خطب بنت (أمازيس) ملك مصر لتكون زوجا له . فلما زفت إليه وتبينها عرف أنهـا ليست بنت (أمازيس) فغضب وجنّ جنـونه ، وكان مصـابا بالصرع

والجنون المتقطع فما هو إلا أن شرع فى غزو مصر لينتقم من ملكها الذى خدعه .

ويروى مؤرخو الأغريق أنفسهم أن أحد الجنود اليونانية واسمه (فانيس) كان قد انتظم فى سلك الجيش المصرى وارتقى إلى منزلة القواد . ثم أبت له نحيزته إلا أن يخون مصر وملكها ففر إلى فارس وأنهى إلى قمبيز خطة لغزو مصر وأبان له عن أيسر السبل لفتح البلاد فشرع يتأهب للغزو . وقبيل زحف الجيوش الفارسية وردت إليه الأنباء بموت (أمازيس) وتولى ابنه (أبسمتيك) على عرش مصر .

* * *

غزا (قمبيز) مصر برا وبحرا فهو جمت مدينة (الفرما) بحرا وزحفت الجيوش البرية وبعد مقاومة شديدة استولى الفرس على البلاد المصرية وأسر (أبسمتيك) وكان (قمبيز) أول عهده بالفتح متسامحا ، ولكنه عاد فحنق على المصريين فهدم المعابد والهيا كل وقتل بيده العجل (أبيس) أثناء أحد الاحتفالات الكبيرة ثم مات بعد ذلك .

٣ – حوادث الرواية

أمكن «المؤلف» أن يحرص على وقائع التاريخ، وأن يؤدّى حقه غير منقوص، ولكن تاريخ تلك الحقبة الغابرة لم يتأت له أن ينال من التمحيص العلمى، ولا أن يعنى بحياة الأشخاص الذين عاشوا فيه عناية تدع لهم فى نفوس الناس صورة كاملة الألوان، بل قنع واصفو التاريخ العتيق بصور يلقى عليها الناس أبصارهم متعجلين لا يحققونها ولا يعرفون منها ما وراءها غير أن «مؤلف» رواية تميز تلقى العناصر الأولى للحوادث وللأشخاص وهو «شاعر» سرى الخيال، مرهف الاحساس ذو بصيرة نافذة وخبرة بالتصوير فما زال بحوادث التاريخ وأشخاصه يحللوها ويفصلها، ويكمل ألوانها، وتبرز خصائصها ويذهب إلى ما وراء الظواهر فيتعمق فى الدراسة ليستخرج دقائق تلك الحياة النفسية والوجدانية التى اضطربت بها الأفراد والجماعات فأنشأت ما أنشأت من بطولة وغزو ونصر وهزيمة وحب وبغض وعقاب وفناء. ونستطيع أن نوضح ذلك بمثال من صنيع المؤلف :

تلقى المؤلف عن التاريخ « أن قمبيز » العاهل الفارسى كان من القسوة والعنف ، وكان من الجنون المتقطع بحيث هانت عليه الدماء والأرواح ففى برهة واحدة من نوبات صرعه وجنونه يفتك بأخته وأخيه بعد أن يكون قد روى الثرى بدماء العالمين هذا إلى ما فتن به من الغزو والقهر وتوسيع رقعة مملكه شرقا وغربا .

تلقى «المؤلف» ذلك عن التاريخ فما زال يبرزه بفصول الرواية فى شتى الصور، ومختلف الأشكال ، ولم يشأ أن تفارق شخصية « قمبيز » الحياة حتى يحضرها فى الساعات الأخيرة ما قدمته من سيىء الأعمال ثم يشعرها بشناعة الآثام ،ثم يريها كيف يكون تأديب الأقدار . لكل طاغية جبار .

وإذا تحدث التاريخ إلى « المؤلف » بأن المملكة الفارسية قد انبسطت رقعتها ، وترامت تخومها ومع هذا تمزق هذا الملك العريض شر ممزق وتقلص ظله وشيكا .

يتلقى «المؤلف» ذلك ثم ينظر إليه النظرة الفاحصة الشاملة فإذا بتلك النظرة الشاعرة النافذة تجمع الأسباب والمقدمات وتجلوها فى ثلاثة أبيات من الرواية على لسان فارسى يقول :

ليت شعرى فلست أدرى إلى أى بلاد « قمبيز » يدفع فارس
قد فتحنا الفضاء شرقا وغربا وملكناه من عباب ويابس
اتسعنا من الفتوح ! يقينا غير أنا لم نفتكر بالحارس

ففى الشطر الأخير ركز المؤلف رأيه فى سياسة الفرس الاستعمارية، وأسباب فشلها وتعفية آثارها .

وبعد فالمؤلف «شاعر» وفضل الشعراء على غيرهم أن يبعثوا فى الحوادث حياة، وأن يفرغوا عليها ضياء، حتى يمض فى جنباتها ريق من النور فتبدو الحكمة ويبصرون الناس منها بما لايبصرونه .

٤ — الحياة المصرية فى عصر الرواية

استطاع «المؤلف» أن يصف الحياة المصرية وصف المؤرخ الصادق . وأن يصورها تصويرا دقيقا، واستطاعت ريشته أن تلوّن ما دق منها وما جل فلم تقتصر على ما هو بارز وناتئ بل تجاوزت ذلك إلى ما هو باهت وخفى ومبهم . بل تعدّت ذلك إلى وصف النفسيات والأخلاق والعواطف المصرية .

وقد قدمنا أن سياسة « أمازيس » قضت بأن يستكثر من أخلاط الأجناد ولا سيما الفيانقة اليونان ، فكانت المظاهر الأغريقية من أجل ذلك تكاد تطغى على الأصباغ والأوضاع المصرية حتى استنكر المصريون تلك الحال ، وبرموا بها ومقتوها . وقد صوّر « المؤلف » ذلك على لسان مصرى فى الوليمة الكبرى يقول لصاحبه :

تأمل القصر « منا » وانظره أرضا وسما
أنظر تر الأغريق فيه هم لفيف العظما

ثم يقول مصرى آخر لصاحبه :

تأمل القصر « خوفو » أفيه من مصر شى
أليس فرعون فيه كأنه أجنبى
فأين حفار مصر وفنه العبقرى

وقد يبدو سخطهم على الأجنبى الدخيل فى حوار جرى بين فارسيين فى الرواية فأحدهما يطلب إلى صاحبه أن يصف له ما لقيه فى جولته « بمنفيس » فيقول :

... ... كيف وجدت البلد ؟
وكيف احتقارهم للغريب إذ قام فى شأنه أو قعد ؟
وكيف عيونهم حوله إذ حملته احتمال الرمد ؟

* * *

وقد صوّر « المؤلف » ما يعتلج فى نفوسهم من هموم وآلام ، وما يخافون و يحذرون من إغارات الفاتحين ، وما يبدو على وجوههم من الريبة والشك فى هؤلاء الغرباء الذين ملؤا شعاب الوادى . فقال على لسان فارسى من رجال الوفد القمبيزى :

تأمل (قباز) القوم وانظر وجوههم
وجوه عليها للهموم سحاب
ألست تراهم كما نقلوا الخطى
لهم جيئة من ريبة وذهاب

وهم مع هذا كرام للضيفان ، لا يألونهم حفاوة وترحيبا :

ولكنهم ما قصروا عن ضيافة
طعام ونزل طيب وشراب

فخرهم بجنسهم : وشاء «المؤلف» أن يبرز ما عرف عن المصريين قديما من فخرهم بأنهم أبناء الشمس وأبناء الآلهة ، وأن هذا الخلق لم يفارقهم حتى وأن قعدت همتهم ، وأمحت بسالتهم :

لهم مثل ما للأسد بالجنس عزة
ضوارى الفلا عند الأسود كلاب
هم الشهب . والناس الجنادل والحصى
وتبر الثرى والعالمون تراب

فنونهم وآدابهم : أما فنونهم وآدابهم وحضارتهم وسلوكهم « فالمؤلف » يصفها على لسان فارسى فيقول :

وكل الذى صاغوا من الفن آية ... وكل الذى قالوا هدى وصواب

وفارسى آخر يقول :

ولم أر مثل صناعاتهم ... سموا وبعدا عن المنتقد
ولا مثل أخلاقهم مبلغا ... من الفضل أو من خلال الرشد
إذا مر يافعهم فى الطريق ... بشيخ تنحى له أو سجد
... ...
وآثار فن تروع العقول ... وأجساد موتى تعيش الأبد

الروح الحربي : كان الروح الحربي إلى ذلك العهد قد ضعف فى نفوس المصريين لكثرة ما اندس فى الجيش فى أخلاط الزمن حتى لم يعد جيشا مصريا على الحقيقة . وقد انصرف المصريون عن الجندية إلى حيث يستظلون بظلال الدعة والنعيم والرفه . فلما جاء وفد فارس قبل غزوة « قمبيز » وجاس خلال الديار لم يجد فى القوم بأسا ولا فروسية وإنما رأى فى الجند المصرى صورا وتماويل وزخرفا يتزين بها حراس القصور لا حراس القلاع والثغور . وصف ذلك كله المؤلف وصفا دقيقا فقال على لسان الفارسى الذى جال « بمنفيس » حين سأله رفيقه :

ولكن (زفيروس) كيف الجنود؟ وكيف الحديد وكيف الزرد
وهل كنت تلقاهم فى الطريق وتنظر أطفارهم واللبد

فأجاب :

أخى ما رأيت بمصر الجنود سوى فتية من جنود القصور
يروحون فى الخوذ اللامعات ويغدون فى الذهب المتقد

ويرد عليه الأول :

إذن هو ملك بلا حائط رقيق الأواسى ضعيف العمد
خلا الوكر من صرخات العقا ب ونامت عن الغاب عين الأسد
أولئك لا فى حماة الديار ولا فى العديد ولا فى العدد
طواويس فى عرصات القصور تروق تهاويلها من شهد

وقد أبدع المؤلف فأودع فى صورة شعرية، وفى بيت واحد حالة المصريين الحربية على لسان « فانيس » الذى كان قائدا فى الجيش المصرى وخانه وفر إلى فارس :

إن ورد السلم من كثرته نسيت أظفارها فيه الأسود

ثم فصل تلك الصورة فقال :

حشر اليونان فى رايته وتراغى الزنج واندس العبيد
وغدا كل طريد لم يجد سبب الرزق . أتى الجيش يصيد

وعلى لسان « نتيتاس » : — ... ... (قتل النعيم حمية الشبان)

تلك الحالة النفسية للجيش التى وصفها المؤلف أضعفت فيه روح المقاومة ، ومهدت للفتح كما رأى المؤلف ذلك فقال على لسان الواصف الفارسى لمصر :

فما أنت راء سوى جنة هى الخلد أو طيفه فى الخلد
يهب عليها غدا عاصف من الفرس انى تمشى حصد

جو مصر السحرى : مصر دار السحرة، وسحرها بهر العالم وجاء على الألسنة، وفى الأسفار حتى الكتب السماوية وقد استطاع «المؤلف» أن ينقلنا أثناء الرواية إلى جو كله سحر وصور ساحرة. وكان سبيله فى ذلك أن أظهر على ألسنة الوافدين من الفرس ما أحسوه فى أرض مصر، وما غمرهم من هذا الجو، الساحر. حتى لقد تحولت نفوسهم جميعا إلى منبع من منابع السحر، وانطبعت فى أذهانهم خيالات الساحرين. فهذا فارسى يقول لصحبه وهم بمصر :

ياصحب كيف ترى تقضون ليلكم وكيف نومكم فى هذه الدار

فيجيبه صاحبه :

أما أنا فاذا استيقظت طوف بى شتى الخيالات من سحر وسحار
... ...
ولا تزال بى الأرواح طائفة مناجيات بالغاز وأسرار

وبلغ « المؤلف » أقصى ما أراده من جعل هؤلاء الفرس ، وهم بمصر لا يستطيعون أن يصرفوا عن أنفسهم خيالات مصر السحرية لا فى يقظة ولا فى منام فارسى أراد أن يقص على رفاقه ما رآه فى نومه من تهاويل وأخيلة فما يكاد يبدأ فى قص حديثه حتى يسرى الرعب والخوف فى نفوس أخوانه من أن تحضرهم ساعة الحديث أرواح خبيثة وتستمع إليهم . ويقول له أحدهم :

صه تكلموا بهمس

فيبدأ صاحب الحلم فى صوت خافت يقول :

رأيت عصفورا برأسى إنس
أقبل حتى صار عند رأسى
فما ملكت عند ذاك حسى
ثم صحوت فوجدت نفسى
منطرحا أغط فوق الكرسى

ذلك بعض ماقصد إليه المؤلف من تصوير هذا الجو السحرى بمصر وقد وفق إلى إبراز تلك الصورة فى غير موضع من الرواية ، وكان توفيقه عظيما باهرا .

٥ – صور تحليلية لأهم أشخاص الرواية

قمبيز

طاغية جبار : أبرز « المؤلف » تلك الشخصية الجبارة السفاحة، وأبرزها عنيفة قاسية إذ يقول «قمبيز» نفسه :

أنا قمبيز بن كسرى أنا جبار الوجود
وأنا النار أصولى وبنو النار جدودى
ويل فرعون ومصر من جنودى و بنودى

ويقول :

أنا قمبيز بن كسرى أنا وحش أنا غول
لست « بالعجل » أبالى وعلى « النار » أبول

وإن تلك الصورة لترينا كيف تجرد هذا الإنسان من كل ما يقيد وجدان الشعوب على اختلاف نزعاتها وعلى تباين فهمها لمعنى العبادة والخضوع والاعتقاد ...

أما قسوته وشناعته فى أنفس الناس فقد تمثلت بمثل شتى ولكن يجمعها كلها الطغيان والجبروت . فهذا فارسى من رجال

وفده الذى بعث به ليخطب له بنت فرعون مصر . سمع أرجافا فى المدينة (أن بنت أمازيس عروس المليك تأبى المضيا) فصاح :

أتحت القبـة الزرقا ء من يسـخر بالشاة ؟

ورفيقه يقول له :

من أمازيس ما الأميرة ما مصـ ـر أفى الأرض من «بقمبيز» يهزا

وما زال « المؤلف » يشكل تلك الشخصية شخصية « قمبيز » فهو تارة (وحش فى إهاب بشر) ثم يتحدّث عنه المتحدّث (أنه آدم بظفر وناب) .

صرعه وجنونه : كان له نوبات صرع وجنون تغشاه فتصدر عنه أفاعيل تقشعر لهولها الأبدان فهو إما قاتل أخاه ، وإما قاتل لأخته . وأراد المؤلف إبراز تلك الصورة فى أثناء الرواية إذ شرع يغتال أخاه وأخته فى ساعة جنونية .

وقد عظم الضجيج ، وعلا الصراخ ، وصاح المستغيث :

العفـو يا كسرى الصفح يا سلطان

أخوك . والنـار ومجـدها ما خان

وتقول الملكة : (يا أسفا عاوده جنونه)

اما عوارض الصرع ومظاهره وملابساته فقد بسطها المؤلف وألم بها وأخرجها ماثلة فى قول « قمبيز » ساعة حلول النوبة به :

قد رجع الصفير لى يا ليته لم يرجع
ما بال عينى أظلمت ما بال ساقى جمدت

وأروع ما صوره « المؤلف » ممثلا حال « قمبيز » بعد أن روى الأرض بدماء المصريين ، وعاث فى مصر فسادا ، وقتل معبودهم «أبيس» ثم جاءته النوبة فاذا هو يهذى و يقول :

إلهى ما ترى عينى خيالات وأشباح
وقتلى قد غدوا حولى وقتلى غيرهم راحوا
وجرحى جذبوا ثوبى وجرحى غيرهم صاحوا

* * *

هذى عواقب بغى هذا القصاص المتاح
لابد من عدل يوم يرتد فيه السلاح

و يروع أحد الواقفين منظر قمبيز :

ويح « لقمبيز » ويح له جنا!!

حبه لنتتاس . وشاء المؤلف أن يطلع على ناحية من ذلك القلب القاسى ، فاذا بها عامرة بالحب مأهولة بالود . لزوجه « نتتاس » وليس ذلك ببدع فى سير الجبابرة القساة وقديما قال القائل :

قسا فالأسد تفزع أن تراه ... ورق فنحن نجزع أن يذوبا

شرح المؤلف هذا المعنى الذى كشفه مستقرا فى قلب «قمبيز» فهو يخاطب « نتيتاس » :

أما أحببتك الحب ... الذى أنت به أدرى
وفضلتك فى القصر ... على البيضاء والسمرا
وقدمتك فى الأزوا ... ج قبل الأخت من كسرى

إذن (قمبيز) كان يحب زوجه « نتيتاس » وما ساءه وجرح كبرياءه إلا أنها أخفت اسمها وحقيقة أمرها عنه . ولقد بقى هذا الحب حتى آخر ساعات (قمبيز) وهو يودع الحياة، وتلوح له أشباح السعادة الماضية فيحقق من خيالاتها خيال «نتيتاس» التى هامت على وجهها إلى طيبة فيخاطب الشبح :

شبح الملك السوا ... فى لعينىّ يلوح
شبح كالزنبق النا ... عم يغدو ويروح
ظهر الحسن عليه ... وسرى الطيب يفوح

* * *

تمثال نيتيتاس حوله مذاهبى ... أحبب بنيتيتاس والتمثال
ما باله ألقى علىّ سكينه ... وأراح وجدانى وأنعم بالى
زوجاه نيتيتاس ملكة فارس ... مالى حرمت حنان قلبك مالى؟

الندم المرير : وعرض المؤلف لوصف أعقاب تلك الحياة التى ماجت بالبطش وأهدار الدماء وخيانة العهود ، فاذا صورة للندم المرير تتجلى فى قول قمبيز :

ياليتنى لم أسمع الواشى ولم ... أخرج حيالك من قديم ضلالى
قد ساء حالى فى غيابك فأرجعى ... هيهات بعدك . من يرق لحالى

* * *

بالله يا طيف الحبيبة قل لها ... خلفت (قمبيزا) بأسوأ حال
صفنى لها تعسا كما شاهدتنى ... قد عادنى صرعى وجد خيالى

نيتتاس

هى التى اختارها « المؤلف » أميرة مصرية . رمزا لمعنى « التضحية » السامى إذ أرخصت حياتها ، وبذلت ما يضن به مخاطرة لحماية وطنها وحياطته . واختارها « المؤلف » أيضا بنتا لفرعون مصر المقتول « ابرياس » الذى فتك به (أمازيس) الفرعون الجالس على العرش .

فى تلك الشخصية الخيرة أرانا المؤلف النفس الفاضلة يعرض لها ما يعرض للنفوس البشرية من هنات ونقائص ومع هذا فإن الذى يغمر تلك الهنات والنقائص ، ويطهر مكانها ، ويضعفها أو يمحوها هو المعنى العلوى الأقدس — هو « التضحية » .

هذا المعنى ما زال « المؤلف » يبرزه ويوضحه ويؤكده فى النفوس كلما لاحت « نيتتاس » حتى ظفر بما أراده ، ووفق إلى ما قصد إليه .

فحيثما رأيت (نيتتاس) فى موطن من مواطن الرواية فثم قداسة الأوطان ، وثم فضيلة الفداء وهى الشىء الذى تشرف به الإنسانية ، وإنك لشاعر بحرب فى أعماق سرائرها بين ما اختصت به من

فضيلتها العليا و بين ما قد يعلق بالنفوس من حقد و بغض وكره ولكنك ترى الغلبة للفضيلة وترى نزوات الهوى ، ونزغات النفس قد تقلصت وغلبت على أمرها .

التضحية بالنفس : عنى المؤلف بأن يصوّر « نيتتاس » مثالا لها من أول الرواية إلى آخرها فهى تخاطب « نفريت » :

أتيت لأفدى بنفسى البلاد وأرفع عن مصر شر العجم

وهى تخاطب فرعون أماريس :

جئت أفدى وطنى من سيف « قمبيز » وناره
جئت أفدى وطنى من دنس الفتح وعاره

وهى ترد على تثبيط المثبطين لها أن تدع ملاعب الصبا ، وتسافر إلى الفرس :

ومالى لا أعطى الحياة إذا دعت بلادى : حياتى للبلادى وملل

وهى وسط الضجة المرحة ، والكؤوس المترعة ، تخاطب نفسها :

أفيق بنت فرعون فما يزكو بك السكر
... ...
ولكن بين جنبىّ هوى أولى به مصر

وتقول (لقمبيز) وهى تصدّه عن غزو مصر :

تغـــير أنت وتغـزو ويحفـظ الله مصـر

ويجيئها وهى بفارس رسل من مصر فتضرع إلى ربها قبل أن تعرف ما وراء الرسل وتهتف :

(وطنى يا رب لا مس بشرّ)

ويخـبرها (أمازيس) فرعون مصر قد مات وارتقى العرش ابنه (أبسمتيك) فتهتف :

(تعيش مصـر وتبـقى)

ويحل الطاغية الفارسى بمصر فيهلك القائم والحصيد ، ويقتل ويبيد ، وإذ هو يقضى فى رقاب المصريين ، ويسومهم الخسف وسوء العذاب .

تواجه (نيتاس) وهو فى سورة غضبه فيسألها ما جاء بها فتقول:

أتيت أنقـذ قـومى وموطنى من عذابك

وآخر صورة من صور تلك (التضحية) الفريدة — أنها وقد استيأست من (قمبيز) ولم تجد منه ما تخاطبه من عقل أو فكر راحت هائمة إلى طيبة تثير النفوس ، وتجمع القرى وتقول :

والآن إلى طيبة والصعيد لحشر الدعاة وحشد الجنود
وقهر العدو وإرغامه وقذف المغير وراء الحدود

الضغينة والحقد : « نيتاس » بنت ملك . قتل أبوها خيانة وغدرا . وجلس قاتله على عرشه ، فليس عليها أن هى حقدت على قاتل أبيها ، وأسرت له الضغينة والحفيظة . غير أنها لم تكن مسرفة فى حقدها ، ولا طائشة فى عدائها بل شاءت نفسها الحكيمة أن تفدى عرش مصر وأن كان الجالس عليه قاتل أبيها .

تبدو حفيظتها على الملك (أمازيس) إذ تخاطبه :

ليس بين ابنة وساق أبيها غصة الموت من سلام وردّ
إن حقدى عليك دين و بر رب لا يذهب العقوق بحقدى

ويعجب بها فرعون إذ تقدمت للفداء فيتحبب إليها بقوله : (بخ ! بخ ! بنت أخى) فتجيبه (أنت يا قاتل : عمى ؟؟)

وتخاطبه مستهزئة : (تقتلنى مثل أبى) .

وتناديها (نفريت) ابنة الملك : نتيتاس أختى ؟

فتردّ قولها : أختها ما أضلها ! متى كان بيتى مجرمين وآلى ؟

الحب : أحبت (نتيتاس) أصدق الحب وأوفاه . فلم يشب هواها القديم (بتاسو) رثيث ولا وهن ، أحبته إذ هى بنت فرعون القائم على العرش ولم تكن تدرى أنه :

يعشق الجاه والغنى لا يحب الغوانيا

ولكنها رأته بعد أن حال حالها ، وئل عرش أبيها يصطنع غراما جديدا بابنة فرعون الجديد (فتاسو) فى رأيها :

(... كالنحلة من زهر لزهر) أو
(... كالنعمة من قصر لقصر)

وهى تأسى على هذا الغرام القديم ، وتنقم من (تاسو) هذا العبث بقلوب العذارى فتخاطبه :

لعبت بى فيما مضى عابثا فالعب بغيرى اليوم كالعابث
أقسمت لى فاذهب فأقسم لها فأنت أهل القسم الحانث

على أنها وهى تغاضبه وتعاتبه ، وتحاول أن تسلوه وتنسى حبه ما برحت تشعر بوقدة الحب ، وما برحت تناجى نفسها (بتاسو) وعهود (تاسو) . وتخاطبه على طول النوى ، و بعد الشقة :

(إن غبت عن عينى فاذ بت فى سوانح الفكر)

وتراجع وصيفتها التى تنهاها عن ذكر هذا الغادر :

(أنا أفديه يا ئتا بحياتى وإن قتل)

ثم تعلن رأيها فى الحب بجلاء فتقول :

(ما الحب إلا التضحية)

إكبارها لزوجها : لما أبرز المؤلف تلك الصورة على خير مثال، جمع فيها ما تشتت من صفات الكمال الإنسانى. (فتيتاس) وإن كرهت قساوة زوجها، ونقمت منه غزوه لبلادها كانت معه مثال الزوج المنصفة فهى تكبر «قمبيز» إكبارا وتقول لوصيفتها :

صدقت ئتا. هو زين الشباب إلـه القنا قمر الغيهب
إذا غلبت فى القتال الملوك وفى السلم عز فلم يغلب
يسيطر كالشمس سلطانه على مشرق الأرض والمغرب

حزمها وعقلها : هى حازمة عاقلة فى الساعات العصيبة، فلم يعزب رشادها وزوجها (قمبيز) يقذف بالحمم، ويرمى بالشرر ليغزو مصر بل أخذته بالحكمة والاقناع وقالت له :

(عد إلى الرشد ما جنت مصر يا قم بيز ما ذنب أهلها الآمنينا)

ثم طفقت تصدّه عن الغزو وتنـذره عواقب الحرب ببراعة المنطق فهى تخاطبه :

(وأغبى الناس منشمر لحرب توقع أن يصيب ولا يصابا)

وبعد هـذا تصعب عليـه اجتياز الطريق إلى مصر وتثير فى نفسه التنبه والحذر فتقول :

(وأخشى أن يقول الناس زوجى غـداة ذهابه نسى الأيابا)

حنوها وتعطفها : فى ساعة الضنك والغضب وقد اشتدّت الملاحاة بينها وبين زوجها لم تغفل عن أنها زوج فحاشت نفسها بأنبل العواطف نحـو زوجها الذى جاءه الصرع وهو يغلظ لهـا فى القول فحنت عليه ، وأخذت تبتهل إلى الله بشفائه :

يا ويح زوجى ويحـه هاج وعاده الصـراع
يا نار كونى حوله أدركه يا آمون رع

فخرها بجنسها : أبرز «المؤلف» تلك الصفة فى «نتيتاس» فى مواضع شتى وهى بلا مراء صنو لصفة (التضحية) فإن إعجابها

بوطنها وتقديسها لأجدادها قد نمى فضيلة التضحية فيها من أجل الوطن والجدود فهى تارة :

(بنت الشمس بنت العواهل الأرباب)

وهى تتحدث عن نفسها فتقول :

(والدى فى السماء فهو إله) وتقول :

(أنا بنت الملوك أصلح للملك جدودى تملكوا العالمينا)

الإباء والعزة : لم يفارقها إباؤها ، ولم تند عنها عزتها إذا ما اجترأ عليها عظيم ولو أنه زوجها الجبار فإذا خاطبها متوعدا :

(احذرى أيها الفتاة انفجارى) أخذتها العزة فأجابته :

(انفجر . ما بى انفجارك ما بى)

وتعالج الوصيفة عزتها لإخضاعها و إذهاب غضبها وتقول لها :

اكظمى الغيظ يا أميرة ...

فتجيبها فى أنفة وكرامة وفى وجه « قمبيز » :

(... ... بل يخرج من حجرتى ومن محرابى)

نفـــريت

ابنـة « أمازيس » فرعون مصر وهى التى أريدت على أن تكون زوجا « لقمبيز » ملك الفرس . فأبت أن تزف إليه وهى تعرف ما فى رفضها من الويلات والخطوب التى تحل بأرضها وأوطانها ، وقد أخرجها «المؤلف» صورة للأنانية والأثرة ليجمع أمامنا ما بين الصورتين صورة (نتيتاس) صورة الفداء المحبوب ، وصورة « نفريت » صورة الأثرة البغيضة .

الأثرة والأنانية : « نفـريت » تعلم أن قمبيزا أرادها زوجة له ، وأن فى رفضها المسير إليـه ويلات ونكبات تحل بمصر لكنها تقول :

(... ... اعتزمت البقاء وفى ظل هـذى الجحر)

ويتجلى استخفافها بالأمور وبعدها عن مثل الحياة العليا إذ تقول :

لتحسف بقوم عليها البلاد ليستأخر النيل أو ينفجر
فأما أنا فسـأبقى هنـا وإن غضبت فارس والنمر

المرح والعبث : وهى فتاة مرحة غريرة يلعب بقلبها (تاسو) خارس الملك أبيها كما لعب من قبل بحب (نيتتاس) فإذا رأت تاسو يتحدث إلى فتاة أخذتها الغيرة وشرعت فى تأنيبه :

تاس من أين ومن كنت من الغيد تحدث؟؟

وهى تراه فتبدهه :

(تاسو هنا . هات اسقنا !!)

يقظتها وحكمتها : وهى إلى مرحها يقظة حكيمة . فقد أظهرها « المؤلف » مغلوبة على أمرها ، لنوازع صباها ، وضعف همتها . فإذا استيقظت إلى موقف (نيتتاس) بدت حكمتها تطرى ما فعلته الفتاة فتقول :

(لله ما أعظمها عندى وما أجلها)

ألم تصبر عن الوطن المفدى وتسمح بالديار والشباب

وترض بأن تزف غدا مكانى إلى النمر الأمير على الذئاب

خطيئتها وندمها : وبدت « نفريت » تعرض من أعمالها ما كان ذريعة لغزو بلادها وأسر أخيها (أبسامتيك) فندمت ، وراحت تعترف بأنانيتها وأثرتها :

ويحى لقـد أودت بى الأنانيه
عشت فما أحببت إلا ذاتيه
ولا افتكرت بسوى لذاتيـه
حتى قذفت وطنى فى الهاويه

وقد شاء « المؤلف » أن يودّعها من تلك الحياة بالعطف الذى يغمر المنكوبين والنادمين فغسلها بماء النيل من أدران أنانيها :

يا نيـل يا قوام كل شىّ
ومانح الحياة كل حىّ
هىّ اغسـل الذنب العظيم هىّ

تاســـو

هو حارس فرعون ، وهو فتى يرى لذات الهوى فى التنقل ، فلها أوّلا بقلب (نتيتاس) ثم ثنى بقلب (نفريت) وقد صوّره المؤلف نمرا قصير النظر .

قصر نظره وغباؤه : وليس أدل على قصر نظره ، وضعف تفكيره . وغباؤه من ظنه أن يكون له خلوات (بنفريت) فى قصر

(قمبيز) بفارس بعد أن تصير زوجة له كما يلتقى بها فى مصر وفى قصر أبيها ويعجب :

لم لا ؟ أليس فى القصور سعة نحن هناك مثل ما نحن هنا

وتردّه نفريت إلى صوابه :

(هذا الغباء منك تاسو عجب ليس المكانان على حد سوى)

ضعف همته : ثم هو ضعيف الهمة فقد كلفه فرعون ليجيب الوفد الفارسى الذى خطب يوم الحفل ابنة فرعون فلم يستطع الكلام واعتذر عنه :

(سيدى من أكون! مولاى عذرا)

قليل الوفاء : وهو يجازى وفاء (نتتاس) بالكفران والجحود، ولا يدرك جلالة الفكرة التى بعثتها على أن تدع بلادها، بل يتعجل بعدها عنه فيقول :

غدا تخلو لنا مصر غدا يصفو لنا القصر

غدا ترحل لا أرجـ ـعها البر ولا البحر

تكفيره عن آثامه : تلك الصورة المنكرة المنبوذة أراد « المؤلف » أن ينتهى أمرها إلى التكفير عن الآثام ، والندم على ما فرط ، فأحيا « المؤلف » فيها ما أماتته نزوات الشباب ، وغرارة الصبا ، وشهوات الجاه ودنسه ، واطلع منها آخر الرواية صورة (لتاسو) ناقمة حاقدة على الأجنبى المغير الذى يبطش فى مصر بطشا ، جعل (تاسوا) :

.. ... يثير البلاد ويغرى القرى باغتيال الجنود

فيفتك به (قمبيز) وقد رضى عنه وطنه وصفح على لسان (نتيتاس) التى تراه يموت فتقول :

هذه ميتة عز أمضى تاسو بسلام
قد صفحنا لك عن ذا ك التجنى والأثام

كَمُلَ طبع رواية "قبيز" بمطبعة دار الكتب المصرية
فى يوم الثلاثاء ٤ رجب سنة ١٣٦٥ (٤ يونيه سنة ١٩٤٦) م

محمد نديم
مدير المطبعة بدار الكتب
المصرية

(مطبعة دار الكتب المصرية ٦٦/١٩٤٥/٥٠٠٠)

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library
32101 074332709
(NEC)
PJ7862
.H3
Q3
1946

[تطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد على بمصر]